مَبَـــادِئُ التَّصَوُّفِ

لِلْمُبْتَدِئِينَ

بِعِلْمِ التَّصَوُّفِ

مِنْ

" تَنْوِيرُ الْقُلُوبِ فِي مُعَامَلَةِ عَلاَّمِ الْغُيُوبِ "

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٌ اَمِينْ الكُرْدِي الاَرْبِلِي

[المتوفّى : ١٣٣٢ هـ]

بقلم

الإمَامُ والخَطِيبُ

الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ آرْمُوتْجُو البُرُوكِي

مَبَـادِئُ التَّصَوُّفِ

لِلْمُبْتَدِئِينَ

بِعِلْمِ التَّصَوُّفِ

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة
للمؤلّف

الطّبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الإرتباط بهاتف جوّال

٥٤٨٤١٣٣(٠٥٤٤)

غازي عنتاب / تركيّة

مَبَـــادِئُ التَّصَوُّفِ

لِلْمُبْتَدِئِينَ

بِعِلْمِ التَّصَوُّفِ

مِنْ

" تَنْوِيرُ الْقُلُوبِ فِي مُعَامَلَةِ عَلاَّمِ الْغُيُوبِ "

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٌ اَمِينْ الكُرْدِي الاَرْبِلِي

[المتوفّى : ١٣٣٢ هـ]

بقلم

الإِمَامُ والخَطِيبُ

الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ آرْمُوتْجُو البُرُوكِي

تَرْجَمَةٌ
لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ اَمِينْ الكُرْدِي قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ

مُحَمَّدُ اَمِينْ بْنُ فَتْحِ اللَّهِ الكُرْدِي الاَرْبِلِي [١٨٣٤ - ١٩١٤ /١٢٥٠ - ١٣٣٢] فَقِيهٌ شَافِعِيٌّ وصُوفِيٌّ كُرْدِيٌّ عِرَاقِيٌّ عُثْمَانِيٌّ عاش مُعْظَمَ حَيَاتِه في " مِصْرَ " الخِدِيوِيَّةِ وَلَدَ في اَرْبِيلٍ بِآيَالَةِ " شَهْرَزُورِ " فِي الدَّوْلَةِ العُثْمَانِيَّةِ ونَشَاَ بها تَلَقَّى عُلُومَهُ على علماء بلده واَخَذَ الطَّرِيقَةَ النَّقْشَبَنْدِيَّةَ عن عُمَرَ بْنِ عُثْمَانَ الكُرْدِي الطَّوِيلِ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) ثُمَّ ذَهَبَ الى المكّة المكرّمة للحج وتَفَرَّغَ للعبادة فيها ثُمَّ قَصَدَ المَدِينَةَ المُنَوَّرَةَ وَانْتَسَب الى المدرسة المحموديّة بَعْدَ اَنْ تَعَلَّمَ اللُّغَةَ التُّرْكِيَّةَ العُثْمَانِيَّةَ وبَعْدَ سَنَوَاتٍ سَافَرَ الى مِصْرَ وسَكَنَ فيها وَانْتَسَبَ الى رَوَاقِ الاَكْرَادِ في الازهر الشّريف - وهو مُخَصَّصٌ للطّلبة الاكراد الوَافِدِينَ مِنْ شِمَالِ العِرَاقِ وبِلاَدِ الشَّامِ وَالاَنَاضُولِ وغَيْرِها - وعُيِّنَ وَكِيلاً لادارة الرّواق وَاشْتَغَلَ بالتّدريس والتّاليف ونَشَرَ الطَّرِيقَةَ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ في مِصْرَ وَانْتَسَبَ الى الطّريقة على يديه كَثِيرٌ وَاتَّخَذَ مِنْ خَانْقَاهْ بَيْبَرْس الجَاشَنْكِيرْ التّي كانت مُخَصَّصَةً لِلسَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ مَقَرًّا واقام فيها خَلْوَتَهُ وله مُؤَلَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ في التّصوّف والفقه المذاهب الاربعة اَشْهَرُها : « تَنْوِيرُ القُلُوبِ فِي مُعَامَلَةِ عَلاَّمِ الغُيُوبِ » وَتُوَفِّي بالقاهرة ودُفِنَ في قَرَافَةَ - التّي تُعْنَى مَقْبَرَةُ المُسْلِمِينَ في مِصْرَ غَالِبًا - وبَعْدَ خمسة وعشر سَنَةً نُقِلَ جِثْمَانُهُ الى الضّريح المقام بِمَسْجِدِ بَيْبَرسْ الجَاشَنْكِيرْ بالجماليّة وقَبْرُهُ بها مَشْهُورٌ يُزَارُ يُعْرَفُ بِـ « ضَرِيحُ سَيْدَى الشّيخ محمّد امين البغدادى » ويُعْمَلُ له مَوْلِدٌ كُلَّ عَامٍ

مِنْ مُؤَلِّفَاتِهِ :

- « اِرْشَادُ المُحْتَاجِ إِلَى حُقُوقِ الأَزْوَاجِ » في فقه المالكي
- « الاَوْرَادُ البَهَائِيَّةُ »
- « العُهُودُ الوَثِيقَةُ فِي التَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ »
- « الْهِدَايَةُ الخَيْرِيَّةُ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ »
- « تَنْوِيرُ القُلُوبِ فِي مُعَامَلَةِ عَلاَّمِ الغُيُوبِ »
- « تَهْذِيبُ المَوَاهِبِ السَّرْمَدِيَّةِ فِي اَجِلاَّءِ السَّادَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ » او « المَوَاهِبُ السَّرْمَدِيَّةُ فِي مَنَاقِبِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ »
- « خُلاَصَةُ التَّصَانِيفِ للغزالي » فيه تَرْجَمَةٌ لنفسه
- « دِيوَانُ خُطَبِ النَّصِيحَةِ البَرِيَّةِ فِي الخُطَبِ المُنِيرِيَّةِ »
- « سَعَادَةُ المُبْتَدِئِينَ فِي عِلْمِ الدِّينِ » فِقْهٌ شَافِعِيٌّ
- « ضَوْءُ السِّرَاجِ فِي فَضْلِ رَجَبٍ وَقِصَّةِ مِعْرَاجٍ » او « ضَوْءُ السِّرَاجِ فِي الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ »

- « فَتْحُ المَسَالِكِ فِي اِيضَاحِ المَنَاسِكِ عَلَى المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ »
- « مَدَارِكُ الصِّيَامِ »
- « مَرَاصِدُ الصَّلاَةِ »
- « مُرْشِدُ العَوَامِ لاَحْكَامِ الصِّيَامِ » على المذاهب الاربعة
- « هِدَايَةُ الطَّالِبِينَ لأَحْكَامِ الدِّينِ » فقه المالكي

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ على مَنْ لا نَبِيَّ بَعْدَهُ سَيِّدِنَا وسَيِّدِ المَخْلُوقَاتِ مَحَمَّدٍ نِ المُصْطَفَى وعلى آلِهِ الاَطْهَارِ واَصْحَابِهِ الاَخْيَارِ ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ الى يوم القيامة [اَمَّا بَعْدُ] : فَلَمَّا كُنْتُ مُطَّلِعًا عَلَى الكتاب المُسَمَّى بِـ " تَنْوِيرُ القُلُوبِ فِي مُعَامَلَةِ عَلاَّمِ الْغُيُوبِ " لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ اَمِينْ الْكُرْدِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) بِنَظْرَةٍ فَقِيرَةٍ الى مُرْشِدٍ كَامِلٍ لِعَلَّمَنِيهِ عِلْمَ التَّصَوُّفِ بِمَنْهَجٍ طَيِّبٍ وَجَدْتُهُ في القسم الثّالث منها واخْتَصَرْتُهُ اخْتِصَارًا بِاسْمِ " مَبَـادِئُ التَّصَوُّفِ لِلْمُبْتَدِئِينَ بِعِلْمِ التَّصَوُّفِ " لِلسَّالِكِينَ في الطّريقة مِنْ طُرُقِ الصُّوفِيَّةِ رَجَاءً من اللّه تعالى اَنْ يَجْعَلَهُ مُسْتَادَفًا لِمَنْ اطَّلَعَ عليه بالقراءة والدّرس والمطالعة وذَخِيرَةً لِي يَوْمَ لا يُظْلَمُ الخَلْقُ مِنْ اَعْمَالِهِمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا كانت او شَرًّا في المحكمة الكبرى عند الميزان ووَسِيلَةً لِغُفْرَانِ ذُنُوبِي بِسَتْرِهَا عن اَعْيُنِ الخَلْقِ في الدّارين مُتَضَرِّعًا الى رحمته وغفرانه فانّه غَفُورٌ رَحِيمٌ وإِلَيْكَ هذا المَنْهَجُ مِنْ نُصُوصِ الكِتَابِ :

قال الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ اَمِينٌ الكُرْدِي الاَرْبِلِيُّ الشَّافِعِيُّ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) :

انّ المُرِيدَ لِحَرْثِ الآخِرَةِ السَّالِكِ لِطَرِيقِهَا لا يَخْلُو عن سِتَّةِ اَحْوَالٍ فإنّه : اِمَّا عَابِدٌ وإِمَّا عَالِمٌ وإِمَّا مُتَعَلِّمٌ وإِمّا وَالٍ وإِمَّا مُحْتَرِفٌ وإِمَّا مُوَحِّدٌ مُسْتَغْرِقٌ بالواحد الصّمد الّذي اَصْبَحَ وهُمُومُهُ هَمٌّ وَاحِدٌ فلا يُحِبُّ الاّ اللَّهَ ولاَ يَخَافُ الاّ منه ولاَ يَتَوَقَّعُ الرِّزْق مِنْ غَيْرِهِ فَمَنْ ارْتَفَعَتْ دَرَجَتُهُ الى هذه الدّرجة لَمْ يَفْتَقِرْ الى تَنْوِيعِ الاَوْرَادِ وَاخْتِلاَفِها بل وِرْدُهُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَاتِ ورَوَاتِبِهَا وَاحِدٌ وهو حُضُورُ القَلْبِ مع اللّه تعالى في كُلِّ حَالٍ

وليس في الدّنيا والآخرة شَرٌّ ودَاءٌ الاّ سَبَبُهُ الذُّنُوبُ والمعاصي وللمعاصي من الآثارة القبيحة المذمومة المضرّة بالقلب والبدن في الدّنيا والآخرة ما لا يَعْلَمُهُ الاّ اللَّهُ تعالى

فمنها : حِرْمَانُ العِلْمِ النَّافِعِ لانّ العلم نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ تعالى في القلب والمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذلك النُّورَ اِنْ كَانَ او تَحُولُ بين وبين القلب اِنْ لَمْ يَكُنْ

منها : وَحْشَةٌ يَجِدُها العَاصِي بينه وبين اللّه تعالى لا يُوَازِيها ولا يُقَارِبُها وَحْشَةٌ البتة

منها : تَعَسُّرُ اَمْرِه عليه فلا يَتَوَجَّهُ لاَمْرٍ الاّ يَجِدُهُ مُغْلَقًا دونه او مُتَعَسِّرًا عليه

منها : ظُلْمَةٌ يَجِدُها في قلبه يَحُسُّ بها كما يَحُسُّ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ وكُلَّمَا قَوِيَتِ الظُّلْمَةُ ازْدَادَتْ حَيْرَتُهُ وظَهَرَتِ الظُّلْمَةُ على وجهه بحيث لا يَخْفَى على اَحَدٍ مِنْ اَهْلِ البَصَائِرِ

منها : انّها تُوهِنُ القَلْبَ وَالْبَدَنَ

منها : حِرْمَانُ الطَّاعَةِ ومَحَقُّ بَرَكَةِ العُمْرِ

منها : انّ المعصية تُورِثُ الذِّلَّةَ وتُفْسِدُ العَقْلَ فانّه نُورٌ وَالمَعْصِيَةُ تُطْفِئُهُ
منها : انّها تُزِيلُ النِّعَمَ وتَجْلِبُ الفَقْرَ فما زالت من العبد نِعْمَةٌ الاّ بِذَنْبٍ ولا حَلَّتْ به نِقْمَةٌ الاّ بِذَنْبٍ كما قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَا اَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ اَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشّورى : ٣٠]

عِلْمُ التَّصَوُّفِ

واعلم انّه عِلْمٌ التَّصَوُّفِ هو : عِلْمٌ يُعْرَفُ به اَحْوَالُ النَّفْسِ مَحْمُودُهَا ومَذْمُوهَا وكَيْفِيَّةُ تَطْهِيرِهَا من المذموم منها وتَحْلِيَتُهَا بالاتّصاف بمحمودها وكيفيّة السّلوك والسَّيْرِ الى اللّه تعالى والفِرَارِ اليه ويُقَالُ له " عِلْمُ البَاطِنِ " ايضًا وهو مِنْ اَجَلِّ العُلُومِ قَدْرًا واَعْظَمُهَا مَحَلاًّ وفَخْرًا واَسْنَاهَا شَمْسًا وبَدْرًا لأنّه من باب : " مَا لاَ يَتِمُّ الوَاجِبُ اِلاَّ بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ " ولا شَكَّ انّ عِلاَجَ اَمْرَاضِ البَاطِنِ وَاجِبٌ وكان الإمَامُ اَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رحمه اللّه يَقُولُ لِوَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ : يَا وَلَدِي عليك بالحديث واِيَّاكَ ومُجَالَسَةَ هؤلاء الّذين سَمُّوا اَنْفُسَهُمْ صُوفِيَّةً فانّه ربّما كان اَحَدُهُمْ جَاهِلاً باحكام دينه فلمّا صَحَبَ اَبَا حَمْزَةَ البَغْدَادِي وعَرَفَ اَحْوَالَ القَوْمِ كان يَقُولُ لِوَلَدِهِ : يَا وَلَدِي عليك بمجالسة هؤلاء القوم فانّهم زَادُوا علينا بِكَثْرَةِ العِلْمِ والمُرَاقَبَةِ والخَشْيَةِ والزُّهْدِ وعُلُوِّ الهِمَّةِ إهـ. وكان الإمَامُ الشَّافِعِي رحمه اللّه يُجَالِسُ الصُّوفِيَّةَ ويَقُولُ : يَحْتَاجُ الفَقِيهُ الى معرفة اصطلاح الصّوفيّة لِيُفِيدُوهُ من العلم ما لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إهـ. وكان الإمَامُ الشَّافِعِي واَحْمَدُ رحمهما اللّه يَتَرَدَّدَانِ الى مجاس الصّوفيّة ويَحْضَرَانِ معهم في مَجْلِسِ ذِكْرِهِمْ فقيل لهما : ما لكما تَتَرَدَّدَانِ الى مثل هؤلاء الجهّال ؟ فقالا : انّ هؤلاء عندهم رَأْسُ الاَمْرِ كُلِّهِ وهو تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ومَحَبَّتُه ومَعْرِفَتُه إهـ.
ومَوْضُوعُهُ : اَفْعَالُ القَلْبِ والحَوَاسّ مِنْ حَيْثُ التَّزْكِيَةِ والتَّصْفِيَةِ
وثَمَرَتُهُ : تَهْذِيبُ القُلُوبِ ومَعْرِفَةُ عَلاَّمِ الغُيُوبِ ذَوْقًا ووِجْدَانًا وَالنَّجَاةُ في الآخرة والفَوْزُ بِرِضَا اللَّهِ تعالى ونَيْلُ السَّعَادَةِ الاَبَدِيَّةُ وتَنْوِيرُ القَلْبِ وصَفَاؤُه بحيث يَنْكَشِفُ له اُمُورٌ جَلِيلَةٌ ويَشْهَدُ اَحْوَالاً عَجِيبَةً ويُعَايِنُ ما عُمِّيَتْ عنه بَصِيرَةُ غَيْرِهِ
وفَضْلُهُ : انّه اَشْرَفُ العُلُومِ لِتَعَلُّقِهِ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تعالى وحُبِّهِ وهي اَفْضَلُ على الاطلاق
ونِسْبَتُهُ الى غيره من العلوم : انّه اَصْلٌ لها وشَرْطٌ فيها اِذْ لاَ عِلْمَ ولاَ عَمَلَ الاّ بِقَصْدِ التَّوَجُّهِ الى اللّه تعالى فَنِسْبَتُهُ لها كالرّوح للجسد
وَاضِعُهُ : اللَّهُ تبارك وتعالى واَوْحَاهَ الى رَسُولِهِ الكَرِيم سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نِ المُصْطَفَى ﷺ والانبياء عليه السّلام قبله فانّه رُوحُ الشَّرَائِعِ وَالاَدْيَانِ المُنْزَلَةِ كُلِّهَا

واعلم انّه لاَهْلِ التَّصَوُّفِ في الطَّرِيقَةِ ثَلاَثَةُ اَلْفَاظٍ وهي : ١- الشَّرِيعَةُ ٢- والطَّرِيقَةُ ٣- والحَقِيقَةُ

فَالشَّرِيعَةُ : هي الاَحْكَامُ المُنَزَّلَةُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ

وَالطَّارِيقَةُ : هي العَمَلُ بالشّريعة

والحَقِيقَةُ : هي على ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ :

الاَوَّلُ : رِقَّةُ الحِجَابِ بين وبين مَا آمَنَ به مِنْ ذَاتِ اللَّهِ وصِفَاتِهِ وجِلاَلِهِ وجَمَالِهِ وقُرْبِهِ واَقْرَبِيَّتِهِ وحَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ وكَمَالاَتِ اَصْحَابِهَا عليهم السّلام ولاَسِيَّمَا سَيِّدُهُمُ الاَعْظَمُ عليه اَفْضَلُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ومَا اَخْبَرَ به النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَعِيمِ القَبْرِ وعَذَابِهِ وَالْقِيَامَةِ وَاَهْوَالِهَا وَالنَّارِ وما فيها وَالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا الى غير ذلك ومِنْ هَذَا القِسْمِ حَدِيثُ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكٍ الاَنْصَارِي حين قال له النَّبِيُّ ﷺ : « كَيْفَ اَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةَ ؟ » قال : اَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا فقال له : « اِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيْقَةً فَمَا حَقِيْقَةُ اِيمَانِكَ ؟ » فقال : عَزَمَتْ نَفْسِي عن الدّنيا اي اَعْرَضَتْ فَاسْتَوَى عِنْدِي حَجَرُهَا وذَهَبُهَا فَاَسْهَرَتْ لَيْلِي وَاظْمَاَتْ نَهَارِي وكَاَنِّي اَرَى عَرْشَ رَبِّي بَارِزًا وكَاَنِّي اَنْظُرُ الى اهل الجنّة يَتَزَاوَرُونَ فيها وكَاَنِّي اَسْمَعُ عُوَاءَ اَهْلِ النَّارِ فقال له : « عَرَفْتَ فَلْزَمْ » وفي رواية انّه عليه الصّلاة والسّلام قال : « مَنْ سَرَّهُ اَنْ يَنْظُرَ اِلَى مَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَارِثَةَ بْنِ مَالِكٍ » رَوَاهُ الطّبراني والبزّار وغَيْرُهُمَا وهذا القِسْمُ هو اَعْلَى اَقْسَامِهَا وَاَشْرَفُ اَنْوَاعِهَا فانّه اَصْلٌ يَتَفَرَّعُ عليه القِسْمَانِ الآخَرَانِ وَاَسَاسٌ ينبنيان عليه

والثَّانِي : تَخَلِّي النَّفْسِ عن رذائل الاخلاق وتَحَلِّيهَا بالصّفات المرضيّة والاَخْلاَقِ السَّنِيَّةِ بحيث يَكُونُ رَاسِخَ القَدَمِ فيها وتَكُونُ هي مَلَكَاتٍ له

والثَّالِثُ : تَيَسُّرُ الاَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وسُهُولَةُ اَفْعَالِ الخَيْرِ عليه حتّى لا يَجِدَ فيها مَشَقَّةً ولا كُلْفَةً بل اَرَادَ اَنْ يَتْرُكَهَا لَمْ تَطَاوَعْهُ نَفْسَهُ على ذلك تَمَّ له اِنْشِرَاحُ الصَّدْرِ للاسلام وَاطْمَاَنَّتْ نَفْسُهُ كُلَّ الطُّمَاْنِينَةِ للعبد عن محارم اللّه والقيام باوامره وصَحَّتْ له حَقِيقَةُ الإِخْبَاتِ حتّى كانّه مَلَكٌ في صورة الانسان

وانّ الحقيقة ثَمَرَةُ الطَّرِيقَةِ وانّه لاَبُدَّ لِسَالِكِ طَرِيقِ الآخِرَةِ من الجمع بين هذه الثّلاثة وعدم التّعطيل لشيء منها وذلك لانّ الحقيقة بِلاَ شَرِيعَةٍ بَاطِلَةُ وَالشَّرِيعَةُ بِلاَ حَقِيقَةٍ عَاطِلَةٌ

وقال الإِمَامُ مَالِكٌ رحمه اللّه عنه : مَنْ تَشَرَّعَ ولَمْ يَتَحَقَّقْ فقد تَفَسَّقَ ومَنْ تَحَقَّقَ ولَمْ يَتَشَرَّعْ فقد تَزَنْدَقَ ومَنْ جَمَعَ بينهما فقد تَحَقَّقَ اهـ.

والصُّوفِيُّ : مَنْ صَفَا قَلْبُهُ مِنَ الْكَدَرِ وَامْتَلاَ مِنَ الْعِبَرِ وَاسْتَوَى عِنْدَهُ الذَّهَبُ والمَدَرُ

وأُصُولُ التَّصَوُّفِ خَمْسَةٌ :

١- تَقْوَى اللَّهِ في السّرّ والعلانيّة وتَتَحَقَّقُ بالورع والاستقامة

٢- وَاتِّبَاعُ السُّنَّةِ في الاقوال والافعال ويَتَحَقَّقُ بالحفظ وحُسْنِ الخُلُقِ

٣- وَالإِعْرَاضُ عَنِ الخَلْقِ في الاقبال والادبار ويَتَحَقَّقُ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ

٤- وَالرِّضَا عن اللّه في القليل والكثير ويَتَحَقَّقُ بالقناعة والتّفويض

٥- وَالرُّجُوعُ الى اللّه في السّراء والضّراء ويَتَحَقَّقُ بالشّكر في السّرّاء وَالإِلْتِجَاءِ اليه في الضّرّاء

واسْتِمْدَادُهُ : من الكتاب والسّنّة والآثار الثّابتة عَنْ خَوَاصّ الأُمَّةِ

وحُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ : الوُجُوبُ العَيْنِيُّ إِذْ لا يَخْلُو اَحَدٌ مِنْ عَيْبٍ او مَرَضٍ قَلْبِيٍّ الاّ الاَنْبِيَاءُ عليهم الصّلاة والسّلام

ومَسَائِلُهُ : قَضَايَاهُ البَاحِثَةُ عن صفات القلوب ويَتْبَعُ ذلك شَرْحَ الكَلِمَاتِ الّتي تَتَدَاوَلُ بين القوم كَالزُّهْدِ والوَرَعِ والمَحَبَّةِ والفَنَاءِ والبَقَاءِ

فَصْلٌ فِي فَضْلِ الاَوْلِيَاءِ وَثُبُوتِ كَرَامَاتِهِمْ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

قال اللّه تعالى : ﴿ اَلَا اِنَّ اَوْلِيَاءَ اللّٰهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] وقال عليه الصّلاة والسّلام : « اِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا يَغْبِطَهُمُ الاَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ » قيل : مَنْ هُمْ يا رسولَ اللَّهِ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ ؟ قال : « هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ اَمْوَالٍ وَاَنْسَابٍ وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ لاَ يَخَافُونَ اِذَا خَافَ النَّاسُ وَلاَ يَحْزَنُونَ اِذَا حَزِنَ النَّاسُ » رواه النّسائي وابن حبّان في " صحيحه "

والْكَرَامَةُ : اَمْرٌ خَارِقٌ للعادة غَيْرُ مَقْرُونٍ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ ولا هو مُقَدِّمَةٌ لها يَظْهَرُ على يَدِ عَبْدٍ ظَاهِرِ الصَّلاَحِ مُلْتَزِمٍ لِمُتَابَعَةِ نَبِيٍّ كُلِّفَ بِشَرِيعَتِهِ مَصْحُوبٍ بِصَحِيحِ الاِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ عُلِمَ بها او لَمْ يُعْلَمْ ثُمَّ اعلم : انّ اَلوَلِيَّ ليس بِمَعْصُومٍ اذا العِصْمَةُ لِلنَّبِيِّ لا لِلْوَلِيِّ بل هو مَحْفُوظٌ ومَعْنَى الحِفْظِ في حقّه انّه لا يَفْعَلُ مَعْصِيَةً وإِنْ فَعَلَهَا نَدِمَ فَوْرًا وتَابَ تَوْبَةً تَامَّةً وعَرَفَ زِلَّةَ نَفْسِهِ وَاَمَّا مَنْ دَامَ فِعْلُهُ للمعصية او كان الاَغْلَبُ عليه فليس مِنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ ولا مِنْ اَتْبَاعِهِمْ ولَمْ يَشُمَّ شَيْئًا مِنْ رَوَائِحِ اِخْوَانِهِمْ

وظُهُورُ الْكَرَامَاتِ عَلَى الاَوْلِيَاءِ جَائِزٌ عَقْلاً وَنَقْلاً :

اَمَّا جَوَازُهُ عَقْلاً : فَلاَنَّهُ ليس بِمُسْتَحِيلٍ في قدرة اللّه تعالى بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزة الانبياء ولا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِها ووُقُوعِهَا مُحَالٌ وكُلُّ ما هذا شَأْنُهُ فهو جَائِزُ الْوُقُوعِ

وَاَمَّا وُقُوعُهُ نَقْلاً : فمنه ما في جاء في كتاب العزيز مِنْ قِصَّةِ مَرْيَمَ وولاَدَتِهَا عيسى عليه السّلام مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ وما وَقَعَ لها في كفالة زكريّا عليه السّلام حيث قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ اَنّٰى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] وكان لا يَدْخُلُ عليها غَيْرُه واذا خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا اَغْلَقَ عليها الاَبْوَابَ وكان يَجِدُ عندها فَاكِهَةَ الصَّيْفِ في الشّتاء وفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ في الصَّيْفِ وكذا قِصَّةُ آصَفَ بْنِ بَرْخِيَا وَزِيرِ سُلَيْمَانَ عليه السّلام في عَرْشِ بَلْقِيسٍ حيث قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا اَيُّهَا الْمَلَؤُا اَيُّكُمْ يَاْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ اَنْ يَاْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣٨) ﴾ قال تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ وهو المَارِدُ القَوِيُّ : ﴿ الْجِنِّ اَنَا اٰتِيكَ بِهِ قَبْلَ اَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ الّذي تَجْلِسُ فيه للقضاء : ﴿ وَاِنِّى عَلَيْهِ ﴾ اي على الاتيان به سَالِمًا ﴿ لَقَوِيٌّ ﴾ على حمله ﴿ اَمِينٌ (٣٩) ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سُلَيْمَانُ عليه السّلام : اُرِيدُ اَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ وهو آصَفُ بْنُ بَرْخِيَا كَاتِبُ سُلَيْمَانَ عليه السّلام وكان صَدِّيقًا عَالِمًا بِاسْمِ اللّٰهِ الاَعْظَمِ الّذي اذا دُعِيَ به اَجَابَ واذا سُئِلَ به اَعْطَى ﴿ اَنَا اٰتِيكَ بِهِ قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ ﴾ اي يَرْجِعَ ﴿ اِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ اي بَصَرُكَ ثُمَّ قال لِسُلَيْمَانَ عليه السّلام : مُدَّ عَيْنَيْكَ حتّى يَنْتَهِيَ طَرْفُكَ فَمُدَّ سُلَيْمَانَ عليه السّلام عَيْنَيْهِ فَنَظَرَ نَحْوَ الْيَمِينِ ودَعَا آصَفُ فَبَعَثَ اللّٰهُ تعالى المَلاَئِكَةَ فَحَمَلُوا السَّرِيرَ مِنْ تَحْتِ الاَرْضِ يَجُدُّونَ جَدًّا حتّى انْخَرَقَتِ الاَرْضُ بِالسَّرِيرِ بين يدي سُلَيْمَانَ عليه السلاّم بقدرة اللّه وكانت المَسَافَةُ شَهْرَيْنِ ﴿ فَلَمَّا رَاٰهُ ﴾ سُلَيْمَانُ عليه السّلام ﴿ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ ﴾ شَاكِرًا لِرَبِّهِ لِمَا آتَاهُ اللّٰهُ من هذا الخوارق : ﴿ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى ءَاَشْكُرُ اَمْ اَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَاِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ (٤٠) ﴾ [النّمل : ٣٨-٤٠] وكذا قِصَّةُ اَصْحَابِ الكَهْفِ وهم : جَمَاعَةٌ من المؤمنين خافوا على ايمانهم مِنْ مَلِكِهِمْ فخرجوا ودخلوا غَارًا فَلَبِثُوا فيه بِلاَ طَعَامٍ وَلاَ شَرَابٍ ثلاثمائة سَنَةٍ وتِسْعٍ سِنِينَ [٣٠٩] نِيَامًا بِلا آفَةٍ حيث قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ اِذَا طَلَعَتْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ [الكهف : ٢٥] وقد تَوَاتَرَ وُقُوعُ الكَرَمَاتِ من الصّحابة الكرام والتّابعني رضي اللّه عنهم اجمعين ومِنْ بَعْدِهِمْ

فَمِنْ ذلك :

- ما صَحَّ عن امير المؤمزني عمر بن الخطّاب رضي اللّٰهُ عنه انّه قال : يَا سَارِيَةُ الجَبَلَ في خطبته يَوْمَ الجُمُعَةِ فَبَلَغَ صَوْتَهُ الى سَارِيَةَ في ذلك الوقت فَتَحَرَّزَ مِنَ الْعَدُوِّ في مكان من الجبل في تلك السّاعة

- وما جاء انّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي اللّه عنهما قال للاسد الّذي مَنَعَ النَّاسَ الطَّرِيقَ : " تَنَحَّ " فَبَصْبَصَ بِذَنْبِهِ وذَهَبَ فَمَشَى النَّاسُ فقال ابْنُ عُمَرَ : صَدَقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ خَافَ اللَّهُ خَوَّفَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ » رواه ابو الشّيخ والحاكم والرّافعي في " امياله "

- وحَدِيثُ البُحَارِي في قصّة خبيب حين كان اَسِيرًا مُوثَقًا بالحديد وكانوا يَجِدُونَ عنده العِنَبَ وما بِاَرْضِ مَكَّةَ حينئذٍ عِنَبٌ

- وما رواه ابو نعيم في " الحلية " انّ عون بن عبد اللّه بن عُتْبَةَ كان اذا نام في الشّمس اَظَلَّهُ الغَمَامُ

- وتَسْبِيحُ القَصْعَةِ الّتي اَكَلَ منها سَلْمَانُ الفَارِسِي واَبُو الدَّرْدَاءِ رضي اللّه عنهما كما رواه ابو نعيم وغَيْرُهُ وكَرَامَاتُ الاَوْلِيَاءِ لا تَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ ومَنْ اَرَادَ المَزِيدَ فعليه بمطالعة مناقبهم

واعلم انّه الفَرْقُ بَيْنَ الكَرَامَةِ وبَيْنَ السّحْرِ هو : كَوْنُهُ يَظْهَرُ على يد الفسّاق والزّنادقة والكفّار الّذين هم على غَيْرِ شَرِيعَةٍ ومُتَابَعَةٍ وامّا الكَرَامَةُ فلا تَقَعُ الاّ على يَدِ مَنْ بَالَغَ في الاتّباع للشّريعة حتّى بَلَغَ الغَايَةَ

والفَرْقُ بَيْنَ الكَرَامَةِ وبَيْنَ المُعْجِزَةِ : هو اَنَّهَا تَظْهَرُ على يَدِ مَنْ لَمْ يَدّعِ النُّبُوَّةَ بِخِلاَفِ المُعْجِزَةِ فانّه يَظْهَرُ على يَدِ مُدَّعِي النُّبُوَّةَ وايضًا فانّ الرَّسُولَ يَجِبُ عليه اِظْهَارُ المُعْجِزَةِ مِنْ اَجْلِ دَعْوَاهُ اذا تَوَقَّفَ اِيمَانُ قَوْمِهِ عليها بخلاف الوليّ فانّه لا يَجِبُ عليه اِظْهَارُ الكَرَامَةِ بل يَنْبَغِي له سَتْرُهَا اِذْ لا حاجة في الغالب الى اظهارها لانّه مُتْبِعٌ فهو يَدْعُو الى اللّه بحكاية دعوة الرّسول الّذي ثَبَتَ عنده رِسَالَتُهُ بِلِسَانِهِ لا بِلِسَانٍ يُحْدِثُهُ مِنْ قِبَل نَفْسِهِ فلا يَحْتَاجُ وَلِيٌّ الى آيَةٍ ولا بَيِّنَةٍ على صدقه بخلاف الرّسول فانّه يَحْتَاجُ الى آيَةٍ لانّه يُنْشِئُ التَّشْرِيعَ ويُرِيدُ نَسْخَ بَعْضِ الشَّرَائِعِ المُقَرَّرَةِ على يد غيره من الرّسل فلاَبُدَّ مِنْ دَلِيلٍ يَدُلُّ على صدقه واَنَّهُ يُخْبِرُ عن اللّه تعالى واعلم انّ الكرامة عند اَكَابِرِ الرِّجَالِ مَعْدُودَةٌ مِنْ جُمْلَةِ رَعُونَاتِ النَّفْسِ الاّ اِنْ كانت لِنَصْرَةِ دِينٍ او جَلْبِ مَصْلَحَةٍ لانّ اللّه تعالى هو الفَاعِلُ عندهم لا هُمْ

ثُمَّ اعلم انّ الاولياء هم العَارِفُونَ باللّه تعالى اَنْوَاعٌ :

فَمِنْهُمْ : مَنْ لا يَحْصُرُه عَدَدٌ كما يُشِيرُ اِلَيْهِ الحَدِيثُ الشَّرِيفُ حيث قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ » قيل : ومَنْ هم يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هُمُ الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ اَثْقَالَهُمْ فَيَاْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا » رواه مسلم والتّرمذي وَاللَّفْظُ له والمُسْتَهَرُونَ بفتح التّاءين هم المُولِعُونَ بذكر اللّه الذّاكِرينَ اللَّهَ كَثِيرًا

ومِنْهُمْ : مَنْ يَحْصُرُه عَدَدٌ فعن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْخَلْقِ ثَلاَثَمِائَةِ نَفْسٍ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَلِلَّهِ فِي الْخَلْقِ

سَبْعَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ اِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَلِلَّهِ فِي الْخَلْقِ اَرْبَعُونَ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مَوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَلِلَّهِ فِي الْخَلْقِ خَمْسَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَلِلَّهِ فِي الْخَلْقِ ثَلاَثَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مِيْكَائِيْلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَلِلَّهِ فِي الْخَلْقِ وَاحِدٌ قَلْبُهُ عَلَى قَلْبِ اِسْرَافِيْلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَاِذَا مَاتَ الْوَاحِدُ اَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلاَثَةِ وَاِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلاَثَةِ اَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ الْخَمْسَةِ وَاِذَا مَاتَ مِنَ الْخَمْسَةِ اَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ السَّبْعَةِ وَاِذَا مَاتَ مِنَ السَّبْعَةِ اَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ الاَرْبَعِينَ وَاِذَا مَاتَ مِنَ الاَرْبَعِينَ اَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلاَثَمِائَةِ وَاِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلاَثَمِائَةِ اَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ الْعَامَّةِ فَبِهِمْ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُمْطِرُ وَيُنْبِتُ وَيَدْفَعُ الْبَلاَءَ عَنْ هَذِهِ الاُمَّةِ » قيل لبعد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه : كيف بهم يُحِيْي ويُمِيتُ ؟ قال : لاَنَّهُمْ يَسْاَلُونَ اللَّهَ اِكْثَارَ الاُمَمِ فَيَكْثُرُونَ ويَدْعُونَ على الجبابرة فَيُقْصَمُونَ ويَسْتَسْقُونَ فَيُسْقَوْنَ ويَسْاَلُونَ فَتُنْبِتُ الاَرْضَ ويَدْعُونَ فَيُدْفَعُ بهم اَنْوَاعُ البَلاَءِ اخرجه ابو نعيم وابن عساكر وغيرهما مِنْ اَئِمَّةِ الحَدِيثِ المُعْتَبَرِينَ

ثُمَّ اعلم انّ سَائِرَ اَهْلِ القُبُورِ اَحْيَاءٌ حَيَاةً بَرْزَخِيَّةً يَعْلَمُونَ بها ويَعْقِلُونَ ويَسْمَعُونَ ويَرَوْنَ ويَعْرِفُونَ مَنْ زَارَهُمْ ومَنْ سَلَّمَ عليهم ويَرُدُّونَ عليه السَّلاَمَ ويَتَزَاوَرُونَ بينهم ويَتَاَذُّونَ بما يبلغهم عن الاحياء ويَتَنَعَّمُونَ او يَتَعَذَّبُونَ وانّ اعمال الاَحْيَاءِ تُعْرَضُ عليهم فما رَاَوْهُ مِنْ خَيْرٍ حَمَدُوا اللَّهُ تعالى وَاسْتَبْشَرُوا ودَعَوْا لفاعله بالزّيادة والثّبات وإنْ رَاَوْا شَرًّا دَعَوُا اللَّهَ لهم وَقَالُوا : " اللَّهُمَّ رَاجِعْ بهم الى الطّاعة وَاهْدِهِمْ كما هَدَيْتَنَا " وقد ثَبَتَ كُلُّ ما ذُكِرَ بِنَصِّ السُّنَّةِ وَاجْمَاعِ الاُمَّةِ :

- فَاَمَّا اِثْبَاتُ حَيَاةِ الاَمْوَاتِ فقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يَمُرُّ مِنْ اَحَدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ اَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ اِلاَّ عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ » رواه البيهقي وابن ابي الدّنيا وقال النَّبِيُّ ﷺ ايضًا : « مَا الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ اِلاَّ كَالْغَرِيقِ الْمُغَوِّثِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلْحَقُهُ مِنْ ابْنِهِ اوْ اَخِيهِ اَوْ صَدِيقٍ لَهُ فَاِذَا لَحِقَتْهُ كَانَتْ اَحَبَّ اِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَاِنْ هَدَايَا الاَحْيَاءُ لِلاَمْوَاتِ الدُّعَاءَ وَالاِسْتِغْفَارَ » رواه الدّيلمي

- واَمَّا سِمَاعُهُمْ فقد روى البخاري عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَرْفُوعًا قال : « اَنَّ الْمَيِّتَ اِذَا دُفِنَ وَتَوَلَّى عَنْهُ اَصْحَابُهُ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِ الْمُشَيِّعِيْنَ لَهُ اِذَا انْصَرَفُوا عَنْهُ » وفي الصّحيحين عنه : « اَنَّهُ اَمَرَ بِقَتْلَى بَدْرٍ مِنَ الْكُفَّارِ فَاُلْقُوا فِي قَلِيْبٍ » اي فِي بِئْرٍ غَيْرِ مَبْنِيَّةٍ ثُمَّ بَعْدَ اَيَّامٍ مِنْ مَوْتِهِمْ جاء حتّى وَقَفَ عليهم ونَادَاهُمْ باسماهم واسماء آبائهم وقال : « يَا فُلاَنَ ابْنِ فُلاَنٍ اِلَى آخِرِهِمْ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَاَنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رِبِّي حَقًّا » فقال له عُمَرُ : يا رسولَ اللَّهِ ما تخاطب مِنْ اَقْوَامٍ قد جَيَّفُوا ؟ قال : « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا اَنْتُمْ بِاَسْمَعَ مِنْهُمْ »

- وأَمَّا مَعْرِفَةُ المَوْتَى بزيارة الاحياء وَالاِسْتِبْشَارِ بهم فعن امّ المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها قَالَتْ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَزُورُ قَبْرَ اَخِيهِ وَيَجْلِسُ عَنْدَهُ اِلاَّ اسْتَاْنَسَ بِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ » رواه الخطيب وابن عساكر وقال النَّبِيُّ : ﷺ ايضًا : « اِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ وَعَرَفَهُ وَاِذَا مَرَّ بَقَبْرٍ لاَ يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ » رواه البيهقي وابن ابي الدّنيا

- وأَمَّا تَزَاوَرُ المَوْتَى وتَلاَقِيهِمْ فقد قال النَّبِيُّ ﷺ : « حَسِّنُوا اَكْفَانَ مَوْتَاكُمْ فَاِنَّهُمْ يَتَبَاهُونَ وَيَتَزَاوَرُونَ فِي قُبُورِهِمْ » رواه البيهقي وأَمَّا تَاَذِّي المَيِّتِ بما يبلغه عن الاحياء فقد قال النَّبِيُّ ﷺ : « اِنَّ الْمَيِّتَ يُؤْذِيهِ فِي قَبْرِهِ مَا يُؤْذِيهِ فِي بَيْتِهِ » رواه الدّيلمي

- وأَمَّا تَنْعِيمُ المَوْتَى وتَعْذِيبُهُمْ فَلِوُرُودِ ذلك عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُتَوَاتِرًا تَوَاتُرًا مَعْنَوِيًّا فقد اتَّفَقَ اَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ على نعيم القبر وعذابه وانّه حَقٌّ يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وانّ النّعيم والعذاب على الرّوح والجسد لانّ فعل المعاصي او الطّاعات بهما وأَمَّا نَعِيمُ الاَنْبِيَاءِ عليهم الصّلاة والسّلام في قبورهم انّهم اَحْيَاءُ في قبورهم طَرِيُونَ ويُصَلُّونَ وَوَرَدَ في صحاح الحديث انّهم يَحُجُّونَ وأَمَّا عَذَابُ القَبْرِ لِبَعْضِ المَوْتَى : فقد اَخْبَرَ اللَّهُ تعالى عن آل فرعون حيث قال : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [المؤمن : ٤٦] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « لَوْلاَ اَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ اَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا اَسْمَعُ » رواه مسلم

- وأَمَّا عَرْضُ اَعْمَالِ الاَحْيَاءِ على الموتى فقد قال النَّبِيُّ ﷺ : « تُعْرَضُ اَعْمَالُكُمْ عَلَى الْمَوْتَى فَاِنْ رَاَوْا حَسَنًا اسْتَبْشَرُوا وَاِنْ رَاَوْا سُوءً قَالُوا : " اللَّهُمَّ رَاجِعْ بِهِمْ " » رواه عبد اللّه بن المبارك

- وأَمَّا عَمَلُهُمْ باحوال اهل الدّنيا غير الاعمال ورؤيتهم لهم فقد النَّبِيُّ ﷺ : « اِنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ يَغْسِلُهُ وَمَنْ يُدْلِيَهُ فِي قَبْرِهِ » رواه احمد في " مسنده "

التَّوْبَـــةُ

والتَّوْبَةُ : هي الرُّجُوعُ من الاوصاف المذمومة الى الاوصاف المحمودة ومَنْ رَجَعَ عن المخالفات خَوْفًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فهو تَائِبٌ ومَنْ رَجَعَ حَيَاءً مِنْ نَظْرِ اللَّهِ فهو مُنِيبٌ ومَنْ رَجَعَ تَعْظِيمًا لجلال اللّه تعالى فهو اَوَّابٌ فعلى العبد : المُبَادَرَةُ بالتّوبة فانّ اَكْثَرَ العِبَادَاتِ نَفْلٌ وَالتَّوْبَةُ فَرْضٌ ولا يُقْبَلُ النَّفْلُ قَبْلَ الفَرْضِ وهي وَاجِبَةٌ بالآيات الكريمة والاخبار الصّحيحة حيث قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا اِلَى اللّٰهِ جَمِيعًا اَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النّور : ٣١] وقال تعالى : ﴿ يَا اَيُّهَا

الَّذِينَ اٰمَنُوا تُوبُوا اِلَى اللّٰهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسٰى رَبُّكُمْ اَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِى اللّٰهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعٰى بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَبِاَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [التّحريم : ٨]

وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ : اَنْ يَتُوبَ العَبْدُ ظَاهِرًا وبَاطِنًا عَازِمًا على عدم العود ومَنْ تَابَ ظَاهِرًا فقط فهو كَمَثَلِ مَزْبَلَةٍ بُسِطَ عليها دِيبَاجٌ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ اليها ويَتَعَجَّبُونَ منها فاذا كُشِفَ عنها الْغِطَاءُ اَعْرَضُوا عنها فكذلك الخَلْقُ يَنْظُرُونَ الى اهل الطّاعة الظّاهرة فاذا كُشِفَ الْغِطَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطّارق : ٢٢] اَعْرَضَ المَلاَئِكَةُ عنهم ولذا قال النَّبِيُّ ﷺ : « اِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ اِلَى صُوَرِكُمْ وَلاَ إِلَى اَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ اِلَى قُلُوبِكُمْ » رواه مسلم ويَدُلُ على فضل التّوبة قَوْلُهُ تعالى : ﴿ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] وَقَوْلُهُ عليه الصّلاة والسّلام : « اِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسِطُ يَدَهُ بَاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيئُ النَّهَارِ وَيَبْسِطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيئُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلَعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » رواه مسلم والنّسائي فلا يُقْبَلُ حينئذٍ اِيمَانُ الكَافِرِ ولا تَوْبَةُ الْمُؤْمِنِ وهو مَعْنَى قَوْلِهِ تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا اَنْ تَاْتِيَهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ اَوْ يَاْتِىَ رَبُّكَ اَوْ يَاْتِىَ بَعْضُ اٰيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَاْتِى بَعْضُ اٰيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا اِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ اٰمَنَتْ مِنْ قَبْلُ اَوْ كَسَبَتْ فِى اِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا اِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ [الانعام : ١٥٨] ورَوَى التّرمذي وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ والبَيْهَقِي وَاللَّفْظُ له مَرْفُوعًا حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « اِنَّ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ لَبَابًا مَسِيرَةُ عَرْضِهِ اَرْبَعُونَ عَامًا اوْ سَبْعُونَ سَنَةً فَتَحَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلتَّوْبَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالاَرْضَ فَلاَ يُغْلِقُهُ حَتَّى تَطْلَعَ الشَّمْسُ مِنْهُ » ورَوَى الشّيخان مَرْفُوعًا ايضًا : « اِنَّ عَبْدًا اَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ : رَبِّ اَذْنَبْتُ فَاغْفِرْهُ فَقَالَ رَبُّهُ : " عَلِمَ عَبْدِي اَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَاْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي " ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ اَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ : رَبِّ اَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي قَالَ رَبُّهُ : " عَلِمَ عَبْدِي اَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَاْخُذُ بِهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ " » قال ابْنُ حَجَرٍ العسقلاني رحمه اللّه : انّه ما دام يُذْنِبُ ويَسْتَغْفِرُ ويَتُوبُ فانَا اَغْفِرُ له اهـ. وفي روايةٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « اِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ » رواه احمد والتّرمذي اي تَوْبَتُهُ مَقْبُولَةٌ مَا لَمْ يَبْلَغَ الرُّوحُ الحَلْقُومَ وروى ابْنُ عَبَّاسٍ رضي اللّه عنهما انّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اِذَا تَابَ الْعَبْدُ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاَنْسَى الْحَفَظَةَ مَا كَانُوا كَتَبُوا مِنْ مَسَاوِيءِ عَمَلِهِ وَاَنْسَى جَوَارِحَهُ مَا عَمِلَتْ مِنَ الْخَطَايَا وَاَنْسَى مَكَانَهُ مِنَ الاَرْضِ وَمَقَامَهُ مِنَ السَّمَاءِ لِيَجِئَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْخَلْقِ يَشْهَدُ عَلَيْهِ » رواه الاصبهاني

شُرُوطُ التَّوْبَةِ

١- النَّدْمُ على الذّنوب الماضية

٢- والعَزْمُ على اَنْ لاَ يَعُودَ الى المعصية

٣- ورَدُّ المَظَالِمِ الى اربابها ثُمَّ وَرَثَتِهِمْ ثُمَّ التَّصَدُّقِ عنهم وَاسْتِحْلاَلِ الخَصُومِ ثُمَّ الإِحْسَانِ اليهم اِنْ اَمْكَنَ

وينبغي بعد التّوبة :

- قَضَاءُ الفَوَائِتِ من الفرائض

- وتَرْكُ خِلاَّنِ السُّوءِ

- واصْلاَحِ الْمَاْكَلِ والمَشْرَبِ والمَلْبَسِ

ولا يَتَخَلَّفُ عن التّوبة بخوف وقوعه في الذّنب فانّ العَبْدَ اذا تاب قبل اللَّهُ تَوْبَتَهُ ولا يَيْاَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ كما قال تعالى : ﴿ اِنَّهُ لَا يَايْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] بل يَنْبَغِي اَنْ يَتُوبَ الى اللّه تعالى في كُلِّ وَقْتٍ ولا يَكُونَ مُصِرًّا على الذّنب فانّ الرَّاجِعَ عن ذَنْبِهِ لا يَكُونَ مُصِرًّا واِنْ عاد في اليوم سَبْعِينَ [٧٠] مَرَّةً كما رُوِيَ عن ابي بكر الصّدّيق رضي اللّه عنه انّه ﷺ قال : « مَا اَصَرَّ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَاِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » رواه ابو داود والتّرمذي

وَقال حُجَّةُ الإِسْلاَمِ الغَزَالِي رحمه اللّه : مَنْ تَرَكَ المُبَادَرَةَ الى التّوبة بالتّسويف اي بالتّاخير كان بَيْنَ خَطَرَيْنِ عَظِمَيْنِ اَحَدُهُمَا : اَنْ تَتَرَاكَمَ الظُّلْمَةُ على قلبه من المعاصي حتّى رَيْنًا فَلاَ يَقْبَلُ المَحْوَ والثّاني : اَنْ يُعَاجِلَهُ المَرَضُ او المَوْتُ فَلاَ يَجِدُ مُهْلَةً للاشتغال بالمحو ولذلك وَرَدَ في الاثر : انّ اَكْثَرَ صِيَاحِ اَهْلِ النَّارِ مِنَ التَّسْوِيفِ واِنَّ اَكْثَرَ صُرَاخِهِمْ : " يَا اُفٍّ لِمُسَوِّفٍ " فَمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ الاّ بالتّسويف ولا يَنْجُو الاّ مَنْ اَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ اهـ.

وَاَوْحَى اللَّهُ الى دواد عليه السّلام : " يَا دَاوُدَ اَنِينُ المُذْنِبِينَ اَحَبُّ مِنْ صُرَاخِ العَابِدِينَ " اهـ.

وقال اللّه تعالى في كتبه المنزلة : " وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ يَبْكِي عَبْدٌ مِنْ خَشْيَتِي اِلاَّ اَبْدَلْتُهُ ضَحِكًا فِي نُورِ قُدْسِي قُلْ لِلْبُكَائِينَ مِنْ خَشْيَتِي : " اَبْشِرُوا فَاِنَّكُمْ اَوَّلُ مَنْ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ اِذَا نَزَلَتْ " قُلْ لِلْمُذْنِبِينَ مِنْ عِبَادِي : " جَالِسُوا البُكَائِينَ مِنْ خَشْيَتِي لَعَلِّي اَنْ اُصِيبَهُمْ بِرَحْمَتِي اِذَا رَحِمْتُ البُكَائِينَ " اهـ.

وقال النَّبِيُّ ﷺ : « لَيْسَ شَيْءٌ اَحَبُّ اِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ : قَطْرَةُ دَمْعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » رواه التّرمذي وقال ابراهيم بن ادهم (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : قَلْبُ

المُؤْمِنِ نَقِيٌّ كالمِرْآةِ فلا يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ بشيء الاّ اَبْصَرَهُ فَإِنْ اَذْنَبَ ذَنْبًا اُلْقِيَتْ فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِنْ تاب مُحِيَتْ وإِنْ عاد الى المعصية ولَمْ يَتُبْ تَتَابَعَتِ النُّكْتَةُ حتّى يَسْوَدَّ القَلْبُ فقَلَّمَا تَنْفَعُ فيه المَوْعِظَةُ بل يَعْمَى عن ادراك الحقّ وصلاح الدّين ويَسْتَهِينُ بامر الآخرة ويَسْتَعْظِمُ اَمْرَ الدُّنْيَا ويَهْتَمُّ بها حتّى اذا قَرَعَ سَمْعَه اَمْرُ الآخِرَةِ واَخْطَارُها دَخَلَ مِنْ اُذْنٍ وخرج مِنْ اُخْرَى ولَمْ يَسْتَقِرُّ في القلب ولَمْ يُحَرِّكْهُ الى التّوبة اهـ. - العياذ باللّه - وقَالَتَ الوَلِيَّةُ رَابِعَةُ العَدَوِيَّةِ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهَا) : اسْتِغْفَارُنَا يَحْتَاجُ اِلَى اسْتِغْفَارٍ اهـ.

عَلاَمَةُ قَبُولِ التَّوْبَةِ تَظْهَرُ فِي ثَمَانِيَةِ اَشْيَاءٍ

١- اَنْ يَخَافَ في اَمْرِ لِسَانِهِ فَيَمْنَعُهُ من الكذب والغيبة وفضول الكلام ويَجْعَلَهُ مَشْغُولاً بِذِكْرِ اللَّهِ وتِلاَوَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

٢- اَنْ يَخَافَ في اَمْرِ بَطْنِهِ فلا يُدْخِلَ بَطْنَهُ الاّ حَلاَلاً ولو قَلِيلاً

٣- اَنْ يَخَافَ في اَمْرِ بَصَرِهِ فلا يَنْظُرُ الى الحرام ولا الى الدّنيا بِعَيْنِ الرَّغْبَةِ وانّما يَكُونُ نَظْرُهُ على وجه العبرة

٤- اَنْ يَخَافَ في اَمْرِ يَدِهِ فلا يَمُدُّهَا الى الحرام وانّما يَمُدُّهَا الى ما فيه الطَّاعَةُ

٥- اَنْ يَخَافَ في اَمْرِ قَدَمَيْهِ فلا يَمْشِي بهما في معصية اللّه وإِنَّمَا يَمْشِي بهما في طاعة اللّه

٦- اَنْ يَخَافَ في اَمْرِ قَلْبِهِ فَيُخْرِجُ منه العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ وحَسَدَ الإِخْوَانِ ويُدْخِلُ فيه النَّصِيحَةَ والشَّفَقَةَ على المسلمين

٧- اَنْ يَخَافَ في اَمْرِ سَمْعِهِ فلا يَسْمَعُ الاّ الحَقَّ

٨- اَنْ يَخَافَ في اَمْرِ طَاعَتِهِ فَيَجْعَلُها خَالِصَةً لوجه اللّه ويَجْتَنِبَ الرِّيَاءَ وَالنِّفَاقَ

حُكِيَ اَنَّهُ كَانَ في بَنِي اسْرَائِيلَ شَابٌّ عَبَدَ اللَّهُ عِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ عَصَاهُ عِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ نَظَرَ فِي الْمِرْآةِ فَرَاَى الشَّيْبَ فِي لِحْيَتِهِ فَسَاءَهُ ذَلِكَ فَقَالَ : اِلَهِي اَطَعْتُكَ عِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ عَصَيْتُكَ عِشْرِينَ سَنَةً فَإِذَا رَجَعْتُ اِلَيْكَ فَهَلْ تَقْبَلَنِي ؟! فَسِمَعَ قَائِلاً يَقُولُ وَلاَ يَرَى شَخْصًا : " اَحْبَبْتَنَا فَاَحْبَبْنَاكَ وَتَرَكْتَنَا فَتَرَكْنَاكَ وَعَصَيْتَنَا فَاَمْهَلْنَاكَ وَإِنْ رَجَعْتَ اِلَيْنَا قَبَلْنَاكَ اهـ.

وعن اَنَسٍ رضي اللّه عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : " يَا ابْنَ آدَمَ ! : إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ اُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ ! : لَوْ بَلَغَتْ

ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ! : لَوْ اَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الاَرْضِ خَطَايًا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لاَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً " » رواه التّرمذي وحسّنه وهذا الحَدِيثُ الشَّرِيفُ يَدُلُّ على سَعَةَ كَرَمِ اللَّهِ تعالى ورَحْمَتِهِ وجُودِهِ كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ اَسْرَفُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا اِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزّمر : ٥٣] وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي اللّه عنهما قَالَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « النَّادِمُ يَنْتَظِرُ مِنْ اللَّهِ الرَّحْمَةَ وَالْمُعْجَبُ يَنْتَظِرُ الْمَقْتَ وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ اَنَّ كُلَّ عَامِلٍ سَيُقْدَمُ عَلَى عَمَلِهِ وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَرَى حَسَنَ عَمَلِهِ وَسُوءَ عَمَلِهِ وَاِنَّمَا الاَعْمَالُ بِخَوَاتِيمَهَا وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَطِيَّتَانِ فَاَحْسَنُوا السَّيْرَ عَلَيْهِمَا اِلَى الآخِرَةِ وَاحْذَرُوا التَّسْوِيفَ فَاِنَّ الْمَوْتَ يَاْتِي بَغْتَةً وَلاَ يَغْتَرَّنَّ اَحَدُكُمْ بِحِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ اَقْرَبُ اِلَى اَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ » ثُمَّ قَرَاَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزّلزلة : ٧-٨] رواه الاصبهاني وعن اَبِي سَعِيدٍ رضي اللّه عنه انّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَاَلَ عَنْ اَعْلَمَ اَهْلِ الاَرْضَ ؟ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَاَتَاهُ فَقَالَ : اِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : لاَ فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَاَلَ عَنْ اَعْلَمَ اَهْلِ الأَرْضِ ؟ فُدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَاَتَاهُ فَقَالَ : اِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ اِلَى اَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَاِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبِدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ اِلَى اَرْضِكَ فَاِنَّهَا اَرْضُ سُوءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى اِذَا انْتَصَفَ الطَّرِيقَ اَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئَكَةُ الرَّحْمَةِ : اِنَّهُ جَاءَ تَائِبًا وَمُقْبِلاً بَقَلْبِهِ اِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ : اِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَاَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الاَرْضَيْنِ فَفِي اَيُّهُمَا كَانَ اَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ اَدْنَى اِلَى الاَرْضِ الَّتِي اَرَادَ بِشِبْرٍ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ » رواه البخاري ومسلم وفي روايةٍ : « فَاَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى اِلَى هَذِهِ : " اَنْ تَبَاعَدِي وَاِلَى هَذِهِ اَنْ تَقْرَبِي " وَقَالَ : " قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا " » وينبغي للعاقل : اَنْ يَعْتَبِرَ بهذا الخبر ويَعْلَمَ انّ رحمة اللّه لا تضيق عن الذّنب مهما عَظُمَ وينبغي اَنْ يَتُوبَ تَوْبَةً حَقِيقَةً لانّ العبد اذا عَلِمَ اللَّهُ تعالى منه انّ تَوْبَتَهُ حَقِيقَةٌ تَجَاوَزَ عنه وينبغي اَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ على قدر الذّنب وحُكِيَ عن عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه انّه مَرَّ وَقْتًا من الاوقات في سكك المدينة فَاسْتَقْبَلَهُ شَابٌّ وهو حَامِلٌ تحت ثيابه شَيْئًا فقال له عُمَرُ : اَيُّهَ الشَّابُّ ما الّذي تحمل تحت ثيابك ؟ وكان خَمْرًا فَاسْتَحَى الشَّابُّ اَنْ يَقُولَ خَمْرًا وقال في سرّه : اِلَهِي اِنْ لَمْ تَخْجَلْنِي عند عمر ولَمْ تَفْضَحْنِي وسَتَرْتَنِي عنده فلا اَشْرَبُ الخَمْرَ اَبَدًا وقال : يَا اَمِيرَ المُؤْمِنِينَ الّذي اَحْمِلُهُ خِلٌّ فقال عمر : اَرِنِي حتّى اَرَاهُ فَكَشَفَهَا بين يديه فرَآهَا عُمَرُ وقد

صار خَلاًّ نَقِيًّا اهـ. فَاعْتَبَرُوا اَيُّهَا الاِخْوَانُ حيث انّها مَخْلُوقًا تاب مِنْ خَوْفِ عمر وهو ايضًال مَخْلُوقٌ فَبَدَّلَ اللَّهُ تعالى خَمْرَهُ بالخَلِّ فلو تاب العاصي المُفْلِسُ المُذْنِبُ عن الاعمال الفاسدة خَوْفًا من اللّه تعالى فَبَدَّلَ اللَّهُ خَمْرَ سَيِّئَاتِهِ بِخَلِّ الطَّاعَاتِ لا يَكُونُ عَجَبًا مِنْ لُطْفِهِ وكَرَمِهِ لِقَوْلِهِ تعالى : ﴿ اِلَّا مَنْ تَابَ وَاٰمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَاُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٧٠]

التَّخْلِيَةُ وَالتَّحْلِيَةُ

واعلم اَيُّهَا المُرِيدُ : انّه يَنْبَغِي بَعْدَ التَّوْبَةِ اَنْ تَتَخَلَّى عن الاوصاف المذمومة لانّها نَجَاسَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ لا يُمْكِنُ التَّقَرُّبُ بها الى الحضرة القدسيّة الالهيّة كما لا يُمْكِنُ التَّقَرُّبُ بِالنَّجَاسَاتِ الصُورِيَّةِ الى العبادات الالهيّة فلابَدَّ للسّالك اَنْ يُزَكِّيَ نَفْسَهُ مِنْ جَمِيعِهَا ويَتَحَلَّى بالاوصاف الحميدة فالاَوْصَافُ المَذْمُومَةُ :

- كالحَسَدِ :

فَحَقِيقَتُهُ اَنْ يُكْرِهَ نِعْمَةَ اللَّهِ على اخيه فَيُحِبُّ زَوَالَهَا عنه كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْحَسَدُ يَاْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَاْكُلُ النَّارُ الْحَطَبِ » رواه ابن ماجه واعلم انّه لا شَيْءَ مِنَ الشَّرِّ اَضَرَّ من الحدث لانّه يوُقِعُ الحَاسِدُ في خمس عقوبات قَبْلَ اَنْ يَصِلَ الى المحسود مَكْرُوهٌ : اَوَّلُهَا : غَمٌّ لاَ يَنْقَطِعُ وثَانِيهَا : مُصِيبَةٌ لاَ يُؤْجَرُ عليها وثَالِثُهَا : مَذَمَّةٌ لاَ يُحْمَدُ بها ورَابِعُهَا : اَنْ يَسْخَطَ عليه الرَّبُّ وخَامِسُهَا : اَنْ يُغْلَقَ عليه بَابُ التَّوْفِيقِ قال بَعْصُ العَارِفِينَ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : ثَلاَثَةٌ لاَ تُسْتَجَابُ ١- آكِلُ الحَرَامِ ٢- ومُكْثِرُ الغِيْبَةِ ٣- مَنْ كان في قلبه غِلٌّ او حَسَدٌ للمسلمين اهـ. وعن انس رضي اللّه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا بُنَيَّ اِنْ قَدِرْتَ عَلَى اَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غَشٌّ لاَحَدٍ فَافْعَلْ » رواه التّرمذي وعن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قيل : يا رسولَ اللَّهِ اَيُّ النَّاسِ اَفْضَلُ ؟ قال : « كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقُ اللِّسَانِ » قالوا : صَدُوق اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فما مَخْمُومُ القَلْبِ ؟ قال : « هُوَ التَّقِيُّ لاَ اِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ » رواه ابن ماجه والبيهقي وغَيْرُهُمَا واعلم انّ الحسد المذموم شَرْعًا انّما هو الحَسَدُ بِمَعْنَى تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ اللَّهِ عن الغير وهذا مِصْدَاقُ قَوْلِهِ تعالى : ﴿ اَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلٰى مَا اٰتٰيهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ اٰتَيْنَا اٰلَ اِبْرٰهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَاٰتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [الفر : ٤٥] وامّا الحَسَدُ بِمَعْنَى تَمَنِّي اَنْ يَكُونَ له مِثْلَ ما لِلآخَرِ فهو مَحْمُودٌ قَطْعًا اِنْ كان خَيْرًا اُخْرَوِيًّا حيث قال

تعالى : ﴿ وَسْئَلُوا اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النّساء : ٣٢] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « لاَ حَسَدَ اِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَالاً وَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » رواه الشّيخان وغَيْرُهُمَا

والحِقْدِ :

فهو الإنْطِوَاءُ على العداوة والبغضاء والتّقاطع وهو قَبِيحٌ مَذْمُومٌ لانّه يُنْتِجُ الحَسَدَ وَالتَّهَاجُرَ وتَتَبُّعَ العَوْرَاتِ حيث قال عليه الصّلاة والسّلام : « لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ اَنْ يَهْجُرَ اَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَنْ هَجَرَ اَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ » رواه ابو داود مَا لَمْ يَكُنُ المَهْجُورُ مُتَجَاهِرًا بالمعاصي ونَهَاهُ الهَاجِرُ ولَمْ يَنْتَهِ وعن عبد اللّه بن عبّاس رضي اللّه عنهما قال : صَعِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فقال : « يَا مَعْشَرَ مَنْ اَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإيمَانُ اِلَى قَلْبِهِ لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتْبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَاتِ اَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتْبَعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ » رواه التّرمذي

والكِبْرِ :

فهو تَعَاظَمٌ يَنْشَأُ عن رؤية الشّخص نَفْسَهُ فَوْقَ غَيْرِهِ حيث قال تعالى : ﴿ سَاَصْرِفُ عَنْ اٰيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الاعراف : ١٤٦] والمعنى : اَمْنَعُهُمْ عَنِ التَّفَكُّرِ في خلق السّموات والارض وما فيهما من الآيات والعِبَرِ وقال تعالى : ﴿ كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [المؤمن : ٣٥] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مَنْ كِبْرٍ » رواه مسلم واعلم انّ الكِبْرَ اَوَّلُ مَعْصِيَةٍ عُصِيَ اللَّهُ بها حيث قال تعالى : ﴿ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيسَ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٢] فَمَنْ تَكَبَّرَ اَوْشَكَ اَنْ يُشَارِكَ اِبْلِيسَ في عقوبة الطّرد والبُعْدِ والعذاب الّذي لا آخِرَ له فلا يُؤْمَنُ عليه مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ - العياذ باللّه -

والعُجْبِ :

فهو تَكَبُّرٌ يَحْصُلُ في الباطن مِنْ تَخَيُّلِ كَمَالٍ في عِلْمٍ او عَمَلٍ وفُسِّرَ ايضًا بانّه : اسْتِعْظَامُ النِّعْمَةِ وَالرُّكُونُ اليها مع نسيان اضافتها الى اللّه تعالى حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَاِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » رواه الطّبراني والبزّار والبيهقي

والبُخْلِ :

فهو عَدَمُ الإعْطَاءِ للغير خَوْفَ نَقْصِ الْمَالِ قال اللّه تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا اٰتٰيهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَلِلّٰهِ مِيرَاثُ

السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « اِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَاِنَّهُ اَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى اَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » رواه مسلم وفي روايةٍ قال : « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ اَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ » رواه البيهقي والطّبراني وغَيْرُهُمَا ورَوَى الاَصْفَهَانِي مَرْفُوعًا : « اَلاَ اِنَّ كُلِّ جَوَّادٍ فِي الْجَنَّةِ حَتْمٌ عَلَى اللَّهِ وَاَنَا بِهِ كَفِيلٌ اَلاَ وَاِنَّ كَلِّ بَخِيلٍ فِي النَّارِ حَتْمٌ عَلَى اللَّهِ وَاَنَا بِهِ كَفِيلٌ » قالو : يا رسولَ اللَّهِ مَنِ الجَوَادُ ومَنِ البَخِيلُ ؟ قال : « الْجَوَادُّ مَنْ جَادَ بِحُقُوقِ اللَّهِ فِي مَالِهِ وَالْبَخِيلُ مَنْ مَنَعَ حُقُوقَ اللَّهِ وَبَخِلَ عَلَى رَبِّهِ وَلَيْسَ الْجَوَّادُ مَنْ اَخَذَ حَرَامًا وَاَنْفَقَ اِسْرَافًا » وروى الطّبراني مَرْفُوعًا : « اِنَّ اللَّهَ اسْتَخْلَصَ هَذَا الدِّينَ لِنَفْسِهِ وَلاَ يَصْلُحْ لِدِينِكُمْ اِلاَّ السَّخَاءَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ اَلاَ فَزَيِّنُوا دِينَكُمْ بِهِمَا » وعنه ايضًا مَرْفُوعًا : « اِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ جِبْرِيلَ اِلَى اِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فَقَالَ : " يَا اِبْرَاهِيمُ ! اِنِّي لَمْ اَتَّخِذْكَ خَلِيلاً عَلَى اَنَّكَ اَعْبَدُ عِبَادِي وَلَكِنْ اطَّلَعْتُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمْ اَجِدْ قَلْبًا اَسْخَى مِنْ قَلْبِكَ »

والرِّيَاءِ :

فهو طَلَبُ المَنْزِلَةِ في قلوب النّاس باراءتهم الخصال المحمودة حيث قال اللّه تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَلِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ اَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « اِنَّ اَخْوَفُ مَا اَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الاَصْغَرَ وَهُوَ الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُرَائِينَ اِذَا جَازَى اللَّهُ النَّاسَ بِاَعْمَالِهُمْ : " اذْهَبُوا اِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُومَ عِنْدَهُمْ جَزضاءٌ ؟ ؟ » [رواه احمد وغَيْرُهُ وروى الامام احمد وغَيْرُهُ مَرْفُوعًا : « اِنَّ مَنْ عَمِلَ مِنْ هَذِهِ الاُمَّةِ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » وروى الطّبراني وغَيْرُهُ مَرْفُوعًا : « مَنْ تَزَيَّنَ بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَهُوَ لاَ يُرِيدُهَا وَلاَ يَطْلُبَهَا لُعِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ » وروى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِي مُرْسَلاً : « لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلاً فِيهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ رِيَاءٍ »

والرِّيَاءُ على ضربين :

١- رِيَاءُ مَحْضٍ وهو : اَنْ يُرِيدَ بعمل الآخرة نَفْعَ الدُّنْيَا

٢- ورِيَاءُ تَخْلِيطٍ وهو : اَنْ يُرِيدَ نَفْعَ الدُّنْيَا ونَفْعَ الآخِرَةِ وكلاهما مُحْبِطٌ للاجر - نَعُوذُ باللّه من ذلك -

وحُبِّ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ :

فالغرض منه انْتِشَارُ الصِّيتِ وهو مَذْمُومٌ قَاطِعٌ عن طريق الحقّ الاّ لِمَنْ شَهَّرَهُ اللَّهُ تعالى لنشر دينه ولا يَخْلُصُ مِنْ حُبِّ الْجَاهِ الاّ الصِّدِّيقُونَ وقال عليه الصّلاة والسّلام : « حَسْبُ ابْنِ آدَمَ مِنَ الشَّرِّ اِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اَنْ يُشَارَ اِلَيْهِ بِالاَصَابِعِ فِي دِينِهِ اوْ دُنْيَاهُ » رواه الطّبراني وقال اَبُو يَزِيدِ البِسْطَامِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : كَابَدْتُ العِبَادَةَ ثلاثين سَنَةً فَرَاَيْتُ قَائِلاً يَقُولُ لي : " يَا اَبَا يَزِيدِ خَزَانَتُهُ مَمْلُوءَةٌ من العبادة فَاِنْ اَرَدْتَ الوُصُولَ اليه فعليك بِالذِّلَّةِ وَالاِفْتِقَارِ " اهـ.

والتَّفَاخُرِ :

فهو المُبَاهَاةُ بالمكارم والمناقب مِنْ حَسَبٍ ونَسَبٍ وغَيْرِ ذلك وهو مَذْمُومٌ مَنْهِيٌّ عنه لقوله عليه الصّلاة والسّلام : « اِنَّ اللَّهَ اَوْحَى اِلَى اَنْ تَوَاضُعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ اَحَدٌ عَلَى اَحَدٍ وَلاَ يَبْغِيَ اَحَدٌ عَلَى اَحَدٍ » رواه مسلم وقد يَكُونُ التَّفَاخُرُ بالمال او بالآباء او بالعبادة

والغَضَبِ :

فهو غَلَيَانُ دَمِ القَلْبِ لِطَلَبِ الاِنْتِقَامِ حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَالْمَاءُ يُطْفِىءُ النَّارَ فَاِذَا غَضِبَ اَحَدُكُمْ فَالْيَغْتَسِلْ » رواه ابن عساكر وجاء في الخبر : انّ اللّه تعالى يَقُولُ : « يَا ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي اِذَا غَضَبْتَ اَذْكُرُكَ اِذَا غَضَبْتُ فَلاَ اُهْلِكُكَ فِيمَنْ هَلَكَ » وَاَفْضَلُ الاَعْمَالِ الحِلْمُ عند الغضب والصَّبْرُ عِنْدَ الطَّمْعِ وذكر العَارِفُ عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعْرَانِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : انّ الامام الشّافعي رضي اللّه عنه كان مَشْهُورًا بِحُسْنِ الخَلُقِ فَعَمَلَ الحَسَدَةُ على اِغْضَابِهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا فَبَرْطَلُوا الخَيَّاطَ مَرَّةً (اي الرُّشْوَةَ) اَنْ يَعْمَلَ له الكُمَّ اليَمِينَ ضَيِّقًا جِدًّا لا يَخْرُجُ يَدَهُ منه الاّ بِعَسْرٍ ويَعْمَلَ الْيَسَارِ كالخرج فلمّا رآه الإمَامُ قال له : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا حيث ضَيَّقْتَ كُمِّيَ الْيَمِينِ لاَجْلِ الْكِتَابَةِ ولَمْ تَحُوجْنِي الى تَشْمِيرِهِ ووَسَّعْتَ الْيَسَارَ لاَحْمِلَ فيه الْكُتُبَ اهـ. وكان السَّلَفُ الصَّالِحُ رحمهم اللّه كُلُّهُمْ يَقُولُونَ : الدَّرَجَاتُ هي الخُلُقُ الحَسَنُ فمَنْ زَادَ عليك في الخلق زاد عليك في الدّرجات اهـ. وبالجملة : فَالْكُلُّ على الاخلاق الالهيّة واللّه تعالى يَغْضَبُ لِغَيْرِهِ ولا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ فَلَوْ انْتَقَمَ اللَّهُ تعالى لنفسه لاَهْلَكَ الخَلْقَ كُلَّهُمْ فِي لَمْحَةٍ وَاحِدَةٍ فَافْهَمْ

والغِيْبَةِ :

فهي اَنْ تَذْكُرَ اَخَاكَ بما فيه وتَعْلَمُ انّه لو سَمِعَهُ لَكَرِهَهُ سَوَاءٌ كان في بدنه او قوله او فعله او دينه او دنياه او ثوبه او داره او دابّته فمتى ذَكَرْتَهُ بِشَيْءٍ من هذه الاشياء وكان ذلك الشَّيْءُ فيه كان غِيْبَةً واذا لَمْ يَكُنْ فيه كان بُهْتَنًا وهو اَشَدُّ مِنَ الْغِيْبَةِ حيث قال اللّه تعالى : ﴿ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ اِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ اِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

اَيُحِبُّ اَحَدُكُمْ اَنْ يَاْكُلَ لَحْمَ اَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « اِيَّاكُمْ وَالْغِيْبَةَ فَاِنَّ الْغَيْبَةَ اَشَدُّ مِنَ الزِّنَا فَاِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَزْنِي وَيَتُوبُ فَيَتُوبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ وَاِنَّ صَاحِبَ الْغِيْبَةِ لاَ يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ » رواه ابن أبي الدّنيا

والنَّمِيمَةِ :

فهي نَقْلُ كَلاَمِ بَعْضِ النَّاسِ الى بَعْضٍ على وجه الإفساد بينهم حيث قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) ﴾ [القلم : ١٠- ١١] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ » رواه الشّيخان وغَيْرُهُمَا وروى الامام احمد وغَيْرُه مَرْفُوعًا : « اَلاَ اُخْبِرَكُمْ بِشَرِّ عِبَادِ اللَّهِ ؟ » قالوا : بلى قال : « الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الاَحِبَّةِ الْبَغُونَ لِلْبَرَاءِ الْعَيْبِ » وفي رِوَايَةٍ لابي الشّيخ : « الْهَمَّازُونَ وَاللَّمَازُونَ وَالْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْبَغُونَ لِلْبَرَاءِ الْعَيْبِ يَحْشُرُهُمُ اللَّهُ فَهِيَ وُجُوهِ الْكِلاَبِ » وقد اَجْمَعَتِ الاُمَّةُ على تحريم النّميمة وانّها اَعْظَمُ الذُّنُوبِ عند اللّه عزّ وجلّ فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ : اَنْ يَجْتَنِبَهَا كُلَّ الإجْتِنَابِ واَنْ يَاْخُذَ حِذْرَهُ مِنْ كلِّ مَنْ يُنِمُّ له وَلِيَعْلَمَ اَنّ كُلَّ مَنْ نَمَّ له نَمَّ عليه

والكَذِبِ :

فهو الإِخْبَارُ بالشّيء على خلاف ما هو عليه وهو مِنْ اَقْبَحِ الذُّنُوبِ حيث قال اللّه تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ اَبْنَاءَنَا وَاَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَاَنْفُسَنَا وَاَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّٰهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٦١] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَاِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي اِلَى الْبِرِّ وَاِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي اِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَاِيَّاكُمْ وَالْكِذْبَ فَاِنَّ الْكِذْبَ يَهْدِي اِلَى الْفُجُورِ وَالْفُجُورَ يَهْدِي اِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَحَرَّى الْكِذْبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا » اخرجه الشّيخان وغَيْرُهُمَا وروى مالك مَرْفُوعًا : قيل : يا رسولَ اللَّهِ اَيَكُونُ المُؤْمِنُ كَذَّابًا قال : « لاَ » وروى ابو داود والتّرمذي والنّسائي والبيهقي مَرْفُوعًا : « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحْدِثُ الْحَدِيثَ يُضْحِكُ بِهِ الْقَوْمَ فَيُكَذِّبُ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ » وعن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه انّه قال : اَصْدَقُ الحَدِيثِ كَلاَمُ اللَّهِ واَشْرَفُ الحَدِيثِ ذِكْرُ اللَّهِ تعالى وشَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقُلُوبِ وما قَلَّ وكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ والهى وشَرُّ النَّدَامَةِ نَدَامَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وخَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ وخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى وَالْخَمْرُ جِمَاعُ الإثْمِ وَالنِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ وَالشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ وشَرُّ المَكَاسِبِ كَسْبُ الرِّبَا واَعْظَمُ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُوبُ اهـ. وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ تنّه قال : « الْكِذْبُ

لاَ يَصْلُحُ اِلاَّ فِي ثَلاَثٍ : فِي الْحَرْبِ لاَنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ وَالرَّجُلُ يُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ اثْنَيْنِ والرَّجُلُ يَصْلِحُ بِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِمْرَأَتِهِ » رواه مسلم

وكَثْرَةِ الْكَلاَمِ :

فهي صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ لانّها يَتَوَلَّدُ منها اُمُورٌ مُحَرَّمَةٌ او مَكْرُوهَةٌ مِثْلَ ذِكْرِ المَعَاصِي واَحْوَالِ النَّاسِ حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ سَقْطُهُ وَمَنْ كَثُرَ سَقْطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ فَالنَّارُ اَوْلَى بِهِ » رواه الطّبراني وروى التّرمذي والبيهقي مَرْفُوعًا : « لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَاِنَّ كَثْرَةَ الْكَلاَمِ بَغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَاِنَّ اَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِيّ » وروى التّرمذي وابن ماجه وغَيْرُهُمَا مَرْفُوعًا : « كُلُّ كَلاَمِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لاَ لَهُ اِلاَّ اَمْرًا بِمَعْرُوفٍ اَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ اَوْ ذِكْرًا لِلَّهِ » وروى ابو الشّيخ مَرْفُوعًا : « اَكْثَرُ النَّاسِ ذُنُوبًا اَكْثَرُهُمْ كَلاَمًا فِيمَا لاَ يُعْنِيهِمْ » فعليك بالصّمت في جميع الاحوال ولا تَتَكَلَّمْ الاّ بما فيه صَلاَحُ دِينِكَ او دُنْيَاكَ وَانْظُرْ قَوْلَهَ تعالى : ﴿ وَاِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾ [الإنفطار : ١٠-١٢] وقَوْلَهُ تعالى : ﴿ اِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ اِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق : ١٧-١٨] وعن انس بن مالك رضي اللّه عنه قال : اسْتَشْهَدَ غُلاَمٌ مِنَّا يَوْمَ اُحُدٍ فَوَجَدْنَا على بطنه حَجَرًا مَرْبُوطًا من الجوع فَمَسَحَتْ اُمُّهُ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ وقالت : هَنِيئًا لك الجَنَّةُ يَا بُنَيَّ فقال النَّبِيُّ ﷺ : « وَمَا يُدْرِكِ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ وَيَمْنَعُ مَا لاَ يَضُرُّهُ » رواه تبو يعلى وابن ابي الدّنيا وقال ابراهيم بن ادهم (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : نَزَلَ بِي اَضْيَافٌ فَعَلِمْتُ انّهم اَبْدَالٌ فَقُلْتُ : اَوْصُونِي بِوَصِيَّةٍ حتّى اَخَافُ اللَّهَ تعالى كَخِيفَتِكُمْ فقالوا : نُوصِيكُ بِسَبْعَةِ اَشْيَاءٍ : اَوَّلِهَا : مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهَ فَلاَ تَطْمَعْ في يقظة قلبه ثَانِيهَا : مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ فَلاَ تَطْمَعْ فِي اَنْ تَصِلَ اليه الحِكْمَةُ ثَالِثِهَا : مَنْ كَثُرَ اخْتِلاَطُهُ بالنّاس فَلاَ تَطْمَعْ في نواله حَلاَوَةَ الْعِبَادَةِ رَابِعِهَا : مَنْ اَفْرَطَ في حبّ الدّنيا خِيفُ عليه سُوءُ الخَاتِمَةِ - والعِيَاذُ باللّه تعالى - خَامِسِهَا : مَنْ كان جَاهِلاً فَلاَ تَرْجَ فيه حَيَاةُ الْقَلْبِ سَادِسِهَا : مَنْ اخْتَارَ صُحْبَةَ الظَّالِمِ فَلاَ تَرْجَ فيه اسْتِقَامَةَ الدِّينِ سَابِعِهَا : مَنْ طَلَبَ رِضَا النَّاسِ فَقَلَّمَا يَنَالُ رِضَا اللّه تعالى عنه اهـ. والاَفْعَالُ الذَّمِيمَةُ كَثِيرَةٌ مِمَّا لا تُحْصَى كالعقيدة الفسادة وارتكاب المعاصي بانواعها وترك التّوبة وغيرها ... الخ وامّا الاَوْصَافُ الحَمِيدَةُ : فكَثِيرَةٌ مِمَّا لا تُحْصَى ايضًا مِثْلَ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ والتَّوْبَةِ والاِعْرَاضِ عن المعصية والنَّدْمِ على فعلها والحَيَاءِ من اللّه وغيرها ... الخ وَاَنَّهُ يَحْتَاجُ - مَنْ يُرِيدُ التَّخَلِيَّ مِنْ هذه الاوصاف المذمومة والتَّحَلِيَّ بالاوصاف الحميدة - الى مُرْشِدٍ كَامِلٍ يِفْنِي اخْتِيَارَهُ في اختياره حتّى يَسِيرَ به في طريق الغيب ويُوصِلَهُ الى حضرة ربّه عزّ وجلّ

ذَمُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الاَمَلِ

قال اللّه تعالى : ﴿ يَاَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهٖ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهٖ شَيْئًا اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣] والغَرُورُ : هو اعْتِمَادُ القَلْبِ على ما يَنْبَغِي اَنْ يَعْتَمِدَ عليه كَاعْتِمَادِ العَالِمِ على علمه والحَكِيمِ على حكمته والزَّاهِدِ على زهده والعُصَاةِ على امهال اللّه تعالى ايّاهم والاَغْنِيَاءِ على غناهم وقد يَلْتَمَسُ الغَرُورُ على العامّة بِالرَّجَاءِ فَيَجْتَرِئُونَ على الفعل القبيح اغْتِرَارًا بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللّه وكَثْرَةِ النِّعْمَةِ جَهْلاً بالفرق بين الغرور والرّجاء فانّ الرَّجَاءَ انّما يَتَحَقَّقُ عِنْدَ وُجُودِ اَسْبَابِ الفَلاَحِ وطُرُقِ النَّجَاحِ فَيَاْتِي بالطّاعات ويَرْجُو قَبُولَهَا والغَرُورَ يَكُونُ عند عدم اسباب الفلاح والنّجح ومِنْ اَعْظَمِ الاِغْتِرَارِ التَّمَادِّي في الذّنوب على رجاء العفو مِنْ غَيْرِ نَدَامَةٍ وتَوَقُّعِ القُرْبِ من اللّه تعالى مِنْ غَيْرِ طَاعَةٍ وَانْتِظَارِ زَرْعِ الجَنَّةِ بِبَذْرِ النَّارِ وطَلَبِ دَارِ المُطِيعِينَ بالمعاصي حيث قال اللّه تعالى : ﴿ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ اَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢١] يعني اَيَظُنُّ الَّذِينَ اكْتَسَبُوا الخَطَايَا ويَعْمَلُونَ الاَعْمَالَ المَذْمُومَةَ اَنْ نَسَوِّيَ بَيْنَهُمْ في الآخرة وبَيْنَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الخَيْرَاتِ وهم مُؤْمِنُونَ كَلاَّ ساء ما يحكمون وفي الحديث القدسي : « مَا اَقَلَّ حَيَاءً مَنْ يَطْمَعُ فِي جَنَّتِي بِغَيْرِ عَمَلٍ كَيْفَ اَجُودُ بِرَحْمَتِي عَلَى مَنْ بِخِلَ بِطَاعَتِي ؟ » وانّ حُبَّ الدُّنْيَا مَذْمُومٌ في كُلِّ الشَّرَائِعِ وهو رَاْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وسَبَبُ كُلِّ فِتْنَةٍ كقال العَارِفُونَ باللّه (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُمْ) : " حُبُّ الدُّنْيَا رَاْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ " وقد بَيَّنَ اللَّهُ تعالى حَقِيقَةَ الدُّنْيَا بقوله : ﴿ اِعْلَمُوا اَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهٗ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرٰيهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِى الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ١٩] وعن الضّحاك رضي اللّه عنه قال : " لَمَّا اَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ وَحَوَّاءَ اِلَى الاَرْضِ وَوَجَدَا رَائِحَةَ الدُّنْيَا وَفَقَدَا رَائِحَةَ الْجَنَّةِ غُشِيَ عَلَيْهِمَا اَرْبِعِينَ صَبَاحًا مِنْ نَتَنِ الدُّنْيَا " وقال النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ اَحَبَّ دُنْيَاهُ اَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ اَحَبَّ آخِرَتَهُ اَضَرَّ بِدُنْيَاهُ فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى » رواه احمد في " مسنده " والحاكم لانّهما مُتَضَادَّتَانِ كَكَفَّتِي المِيزَانِ مهما رُجِحَتْ اِحْدَاهُمَا خَفَّتِ الاُخْرَى وعن زيد بن ثابت رضي اللّه عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ انّه قال : « مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الآخِرَةِ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَاَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ اَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَاْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا اِلاَّ مَا كَتَبَ

اللَّهُ لَهُ » رواه ابن ماجه والتّرمذي وعن جندب رضي اللّه عنه قال : دَخَلَ عُمَرُ رضي اللّه عنه عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وهو على حَصِيرٍ وقد اَثَّرَ بِجَنْبِهِ الشَّرِيفِ فبكى عُمَرُ رضي اللّه عنه قال النَّبِيُّ ﷺ : « مَا يُبْكِيكَ يَا عُمَرُ ؟ » قال : ذَكَرْتُ كِسْرَى وقَيْصَرَ وما هما فيه من الدّنيا وانت يا رسولَ اللَّهِ قد اَثَّرَ بِجَنْبِكَ الحَصِيرُ فقال النَّبِيُّ ﷺ : « أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا وَنَحْنُ قَوْمٌ أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي الآخِرَةِ » رواه البخاري

قال عَلِيٌّ رضي اللّه عنه : انّما اَخْشَى عليكم اثْنَتَيْنِ :

١- طُولُ الاَمَلِ

٢- اِتِّبَاعُ الهَوْى

فانّ طول الامل يُنْسِي الآخِرَةَ وَاتِّبَاعَ الهَوَى يَصُدُّ عن الحقّ وانّ الدّنيا قد ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةٍ والآخِرَةَ مُقْبِلَةٍ ولِكُلِّ وَاحِدَةٍ منهما بَنُونٌ فكونوا مِنْ اَبْنَاءِ الآخِرَةِ ولا تكونوا مِنْ اَبْنَاءِ الدُّنْيَا فانّ اليوم عَمَلٌ لا حِسَابٌ وانّ غَدًا حِسَابٌ ولا عَمَلٌ اهـ.

وقال عليه الصّلاة والسّلام : « اِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا اَبْغَضُ اِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَاَنَّهُ مُذْ خَلَقَهَا لَمْ يَنْظُرْ اِلَيْهَا » رواه الحاكم وفي روايةٍ : « لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى مِنْهَا كَافِرًا شُرْبَةَ مَاءٍ » رواه التّرمذي والضّياء وقال عليه الصّلاة والسّلام لابن عمر رضي اللّه عنهما : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَاَنَّكَ غَرِيبٌ اَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى وَاِذَا اَصْبَحْتَ نَفْسَكَ فَلاَ تُحَدِّثْهَا بِالْمَسَاءِ وَاِذَا اَمْسَيْتَ فَلاَ تُحَدِّثْهَا بِالصَّبَاحِ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ وَمِنْ شَبَابِكَ لَهَرَمِكَ وَمِنْ فِرَاغِكَ لِشُغْلِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِوَفَاتِكَ فَاِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا اسْمُكَ غَدًا » رواه التّرمذي وفي روايةٍ : « اِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ اَجَلٍ قَدْ مَضَى خُتِمَ عَلَيْهِ وَبَيْنَ اَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لاَ يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ فَلْيَاْخُذُ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ وَمَنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتِبٍ وَلاَ بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ اِلاَّ الْجَنَّةُ والنَّارُ » رواه البيهقي في " شعب الايمان " وف روايةٍ آخر : « مَنْ اَصْبَحَ وَالدُّنْيَا اَكْبَرُ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَاَلْزَمَ اللَّهُ قَلْبَهُ اَرْبَعَ خَصَالٍ : هَمًّا لاَ يَنْقَطِعُ عَنْهُ اَبَدًا وَشُغْلاً لاَ يَتَفَرَّغُ مِهْنَهُ مِنْهُ اَبَدًا وَفَقْرًا لاَ يَبْلُغُ غِنَاهُ اَبَدًا وَاَمَلاً لاَ يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ اَبَدًا » رواه الطّبراني وعن رجل لعليّ بن طالب كرم اللّه وجهه : صِفْ لنا الدّنيا قال : وما اَصِفُ لكم مِنْ دَارٍ مَنْ صَحَّ فيها ما اَمِنَ ومَنْ سَقَمَ فيها نَدِمَ ومَنْ افْتَقَرَ فيها حَزِنَ ومَنِ اسْتَغْنَى فيها فُتِنَ في حلالها حِسَابٌ وفي حرامها عِقَابٌ اهـ. وعن عثمان رضي اللّه عنه قال : هَمُّ الدُّنْيَا ظُلْمَةٌ في القلب وهَمُّ الآخِرَةِ نُورٌ في القلب اهـ. وعن عمر رضي اللّه عنه قال : عِزُّ الدّنيا بالمال وعِزُّ الآخرة بصالح الاعمال اهـ. وقال النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ اَصْبَحَ وَهُوَ يَشْكُو ضِيقَ الْمَعَاشِ فَكَاَنَّمَا

يَشْكُو رَبَّهُ وَمَنْ اَصْبَحَ لاُمُورِ الدُّنْيَا حَزِينًا فَقَدْ اَصْبَحَ سَاخِطًا عَلَى اللَّهِ وَمَنْ تَوَاضَعُ لِغَنِيّ لِغِنَاهُ فَقَدْ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ » رواه الطّبراني فَمَنْ اَرَادَ اللَّهُ اَنْ يَتَّخِذَهُ وَلِيًّا كَرَّهُ اليه الدّنيا ووَفَّقَهُ للاَعمال الصّالحة وسَهَّلَهَا عليه ورُوِيَ في الاثر : انّ مَثَلَ المُؤْمِنِ في الدّنيا كَمَثَلِ جَنِينٍ في بطن امّه اذا خَرَجَ مِنْ بَطْنِهَا بكى على مخرجه حتّى اذا رَاَى الضَّوْءَ لَمْ يُحِبُّ اَنْ يَرْجِعَ الى مكانه وكذلك المُؤْمِنُ يَجْزِعُ مِنَ الْمَوْتِ فاذا اَفْضَى الى ربّه لَمْ يُحِبُّ اَنْ يَرْجِعَ الدُّنْيَا كما لا يُحِبُّ الجَنِينُ اَنْ يَرْجِعَ الى بطن امّه اهـ. هذا في المؤمن المُعْرِضِ عن الدّنيا المُقْبِلِ على الآخرة وقيل لابراهيم بن ادهم (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : عِظْنَا بما يَنْفَعُنَا قَالَ : اذا رَاَيْتُمُ النَّاسَ مَشْغُولِينَ بامر الدّنيا فَاشْتَغَلُوا بامر الآخرة واذا اشْتَغَلُوا بِتَزْيِينِ ظَوَاهِرِهِمْ فَاشْتَغَلُوا بِتَزْيِينِ بَوَانِكُمْ واذا اشْتَغَلُوا بِعِمَارَةِ البَسَاتِينِ والقُصُورِ فَاشْتَغَلُوا بِعِمَارَةِ القُبُورِ واذا اشْتَغَلُوا بِعُيُوبِ النَّاسِ فَاشْتَغَلُوا بِعُيُوبِ اَنْفُسِكُمْ واذا اشْتَغَلُوا بِخِدْمَةِ المَخْلُوقِينِ فَاشْتَغَلُوا بِخِدْمَةِ الخَالِقِ رَبِّ الخَلاَئِقِ اجمعين اهـ.

ذِكْرُ الْمَوْتِ

اَيُّهَا الإِخْوَانُ اعْلَمُوا انّ الموت الّذي تَفِرُّونَ منه يَعُمُّنَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ والقَبْرَ يَضَمُّنَا والقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا وَاللَّهُ يَحكُمُ بَيْنَنَا وهو خَيْرُ الحَاكِمِينَ قال اللّه تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « اَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ يُمَحِّصُ الذُّنُوبَ وَيُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا » رواه ابن ابي الدّنيا وفي روايةٍ : « اَكْثِرُوا هَاذِمَ اللَّذَّاتِ » يعني المَوْتَ رواه التّرمذي وابن ماجه وغَيْرُهُمْ وفي روايةٍ اخرى : « كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا » رواه الطّبراني وسُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن اَكْيَسِ النَّاسِ ؟ فقال : « اَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَاَشَدُّهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا اُولَئِكَ الاَكْيَاسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الآخِرَةِ » رواه معناه الامام احمد وغَيْرُهُ وقال الحَسَنُ البَصْرِي رضي اللّه عنه : فضح الموت الدّنيا فَلَمْ يَتْرُكْ لِذِي لُبّ فَرَحًا اهـ. وكان عمر بن عبد العزيز رضي اللّه عنه يَجْمَعُ الفُقَهَاءَ فَيَتَذَاكَرُونَ المَوْتَ والقِيَامَةَ ثُمَّ يَبْكُونَ حتّى كَاَنَّ بَيْنَ اَيْدِيهِمْ جَنَازَةٌ

ومَنْ اَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ اُكْرِمَ من اللّه بِثَلاَثَةِ اَشْياءٍ :

١- تَعْجِيلُ التَّوْبَةِ

٢- وقَنَاعَةُ القَلْبِ

٣- ونَشَاطُ العِبَادَةِ

ومَنْ نَسِيَ المَوْتَ عُقِبَ بِثَلاَثَةِ اَشْيَاءٍ :

١- تَسْوِيفُ التَّوْبَةِ

٢- وعَدَمُ الرِّضَا بالكفاف

٣- والتَّكَاسُلُ في العبادة

وقال النَّبِيُّ ﷺ : « يَاَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا اِلَى اللَّهِ قَبْلَ اَنْ تَمُوتُوا وَبَادِرُوا بِالاَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ اَنْ تَشْتَغِلُوا وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَّةِ تُرْزَقُوا وَتُنْصَرُوا » رواه ابن ماجه] ويُرْوَى في الآثار : " الاَمْرَاضُ والاَوْجَاعُ كُلُّهَا بَرِيدُ المَوْتِ ورُسُلُ المَوْتِ فاذا حَانَ الاَجَلُ اتى مَلَكُ المَوْتِ بنفسه فقال : اَيُّهَا العَبْدُ كَمْ خَبَرٍ بَعْدَ خَبَرٍ وكَمْ رَسُولٍ بَعْدَ رَسُولٍ وكَمْ بَرِيدٍ بَعْدَ بَرِيدٍ اَنَا الخَبَرُ الّذي ليس بَعْدَي خَبَرٌ واَنَا الرَّسُولُ الّذي ليس بَعْدِي رَسُولٌ اَجِبْ رَبَّكَ طَائِعًا او مُكْرِهًا " فاذا قَبَضَ رُوحَهُ وتَصَارَخُوا عليه فقال : " على مَنْ تَصْرَخُونَ وعلى مَنْ تَبْكُونَ ؟ فَوَا اللَّهِ ما ظَلَمْتُ له اَجَلاً واَكَلْتُ له رِزْقًا بل عَادَهُ رَبَّهُ فَلَبَّيْكَ البَاكِي على نفسه فانّ لي عليكم عَوْدَاتٌ وعَوْدَاتٌ حتّى لا اَبْقِي مِنْكُمْ اَحَدًا " اهـ. وقال الحسن البصري رضي اللّه عنه : فَوَالَّذِي نفسي بيده لو يَرَوْنَ مَكَانَهُ او يَسْمَعُونَ كَلاَمَهُ لَذَهَلُوا عن مَيِّتِهِمْ ولَبَكَوْا على انفسهم حتّى اذا حُمِلَ المَيِّتُ على نَعْشِهِ رَفْرَفَتْ رُوحُهُ فَوْقَ النَّعْشِ وهو يُنَادِي : " يَا اَهْلِي ويَا وَلَدِي لا تَلْعَبَنَّ بكم الدّنيا كما لَعِبَتْ بِي جَمَعْتُ المَالَ مِنْ حِلِّهِ ومِنْ غَيْرِ حَلِّهِ ثُمَّ خَلَفْتُهُ لِغَيْرِي فالمال لكم وَالتَّبْعَةُ عَلَيَّ فَاحْذَرُوا مِثْلَ ما حَلَّ بِي " اهـ. وقيل : لِحَسَّانِ بْنِ سِنَانٍ رحمه اللّه : كيف تَجِدُكَ ؟ قال : بِخَيْرٍ اِنْ نَجَوْتُ من النّار وقيل له : ما تَشْتَهِي ؟ قال : لَيْلَةً طَوِيلَةً اُصلِّيهَا كُلَّهَا اهـ. وقال ابو بكر الكَتَّانِي رحمه اللّه : كان رَجُلٌ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ على سيّئاته فَحَسَبَ يَوْمًا سِنِّي عُمْرِهُ فَوَجَدَها سِتِّينَ سَنَةً فَحَسَبَ اَيَّامَها فَوَجَدَها احدى وعشرين الف يَوْمٍ ومائتين وبِضْعَةً واربعين يَوْمًا فصرخ صَرْخَةً وخَرَّ مَغْشِيًا عليه فلمّا افاق قال : يَا وَيْلَتَاهُ وانا آتي ربّي بواحد وعشرين الف ذَنْبٍ ومائتين وبِضْعَةً واربعين ذَنْبًا يَقُولُ : هذا لو كان في كُلِّ يَوْمٍ ذَنْبٌ وَاحِدٌ فكيف بذنوب لا تُحْصَى ثُمَّ قال : آهٌ عَلَيَّ عَمَّرْتُ دُنْيَايَ وخَرَبْتُ آخِرَتِي وعَصَيْتُ مَوْلاَيَ الوَهَّابَ ثُمَّ لا اَشْتَهِي النَّقْلَةَ من العمران الى الخراب وكيف اقدم في يوم الحساب على الكتاب والعذاب بلا عمل ولا ثواب ؟ ثُمَّ شَهِقَ شَهْقَةً عَظِيمَةً ووَقَعَ على الارض فَحَرَّكُوهُ فاذا هو مَيِّتٌ رحمة اللّه عليه اهـ. وقال بَعْضُهُمْ : دَخَلْنَا على عطاء السُّلَمِي نَعُودُهُ في مرضه الّذي ماتَ فيه فَقُلْنَا له : كيف حَالُكَ ؟ فقال : المَوْتُ في عُنُقِي والقَبْرُ بين يدي والقِيَامَةُ مَوْقِفِي وجِسْرُ جَهَنَّمَ طَرِيقِي ولا اَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا حتّى غُشِيَ عليه فلمّا اَفَاقَ قال : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَارْحَمْ وَحْشَتِي في القبر ومَصْرَعِي عند الموت وَارْحَمْ

مَقَامِي بين يديك يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اهـ. وبكى ابو هريرة رضي اللّه عنه عند الموت فقيل له : ما يُبْكِيكَ ؟ فقال : اَخَافُ اَنْ اَكُونَ قد اَتَيْتُ بِذَنْبٍ اَحْسَبُهُ هَيِّنًا وهو عند اللّه عَظِيمٌ اهـ. ودَخَلَ المُزَنِي على الامام الشّافعي رضي اللّه عنه في مرضه الّذي مات فيه فقال له : كَيْفَ اَصْبَحْتَ يا ابا عبد اللّه ؟ فقال : اَصْبَحْتُ عن الدّنيا رَاحِلاً وللاخوان مُفَارِقًا ولِسُوءِ عَمَلِي مُلاَقِيًا ولِكَاْسِ المَنِيَّةِ شَارِبًا وعلى ربّي سبحانه وتعالى وَارِدًا ولا اَدْرِي رُوحِي صَائِرَةٌ الى الجنّة فاهنيها او الى النّار فافزيعها اهـ. واعلم انّ جميع ما كان يالفه الإنْسَانُ في عمره يَعُودُ ذِكْرُهُ الى قلبه عند موته فَإنْ كان اَكْثَرُ مَيْلِهِ الى الطّاعات كان اَكْثَرُ ما يَحْضُرُهُ ذِكْرُ طَاعَاتِ اللَّهِ وإنْ كان اَكْثَرُ مَيْلِهِ الى المعاصي غَلَبَ ذِكْرُهَا على قبله عند الموت ورُبَّمَا تُقْبَضُ رُوحُهُ عند غلبة شهوة مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا ومَعْصِيَةٍ مِنَ المَعَاصِي فَيَكُونُ هَمُّهُ وحُزْنُهُ انّما هو لفراق الدّنيا ومَلاَذِهَا ومَاْلُوفَاتِهَا فَيَتَقَيَّدُ بها قَلْبُهُ ويَصِيرُ مَحْجُوبًا عن اللّه فعلى العاقل : اَنْ يَدَعَ الدُّنْيَا ويَشْتَغِلَ بِالآخِرَةِ

تَفْسِيرُ سُورَةِ : ﴿ اَلْهٰيكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اَلْهٰيكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾ [التّكاثر : ١-٨]

التَّفْسِيرُ :

قال اللّه تعالى في كتابه العزيز : ﴿ اَلْهٰيكُمُ التَّكَاثُرُ (١) ﴾ اي الإكْثَارُ من الاموال والاولاد او التَّفَاخُرُ بالكثرة في الاموال والاولاد والانساب شَغَلَكُمْ عن يوم العرض والمآب والمعاد ﴿ حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) ﴾ اي فَارَقْتُمُ الاَصْحَابَ وَالاَحْبَابَ وصِرْتُمْ مُرْتَهِنِينَ بَيْنَ اَطْبَاقِ الثَّرَى الى يوم الحساب ﴿ كَلَّا ﴾ اي ارْتَدَعُوا وَانْزَجَرُوا عَنِ التَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ﴾ بعد هذا اذا وَرَدْتُمُ المَقَابِرَ واَتَاكُمْ ما تُوعَدُونَ من ربّ العالمين ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾ اذا قَامَةِ القِيَامَةُ بِدَوَاهِيهَا وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ ونَزَلَ مَنْ فيها ووَضَعَتِ الاَرْضُ ما في بطنها وذَهَلَتِ المَرَاضِعُ عن اولادها وشَابَتِ الوِلْدَانُ مِنْ اَهْوَالِهَا ودَنَتِ الشَّمْسُ من الرّؤوس وزِيدَ في حرّها ﴿ كَلَّا ﴾ زِيَادَةٌ تَاْكِيدٌ للزّجر ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ اَيُّهَا النَّاسُ ﴿ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) ﴾ ما لكم عند اللّه تعالى وما عليكم اذا بَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ ونُشِرَ دِيوَانُ العَمَلِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً اي لو

تَعْلَمُونَ ذلك عِلْمَ الْيَقِينِ لَشَغَلَكُمْ عَنِ التَّكَاثُرِ فكيف بكم اذا نُصِبَتِ المَوَازِينُ ونُشِرَتِ الدَّوَاوِينُ وتَعَلَّقَ المَظْلُومُونَ بِالظَّالِمِينَ ونَزَلَتِ المَلاَئِكَةُ الكِرَامُ وقَامَ الرُّوحُ الاَمِينُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ الاّ مَنْ اَذِنَ له الرَّحْمَنُ وطَالَ عَلَيْهِمُ الْوُقُوفُ واَقْسَمَ سبحانه وتعالى فقال : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ﴾ في ديار القبور لانّه يَعْرُضُ على كُلِّ آدَمِي مَقْعَدُهُ في النّار فَإِنْ كان سَعِيدًا عَرَضَ عليه وبُشِّرَ بِزَوَالِهِ وإِنْ كان شَقِيًّا عَرَضَ عليه وقَرَّرُ له ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ﴾ اذا جاءت تَقُودُها مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شَدَّادٌ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ على اهلها وقد مُدَّ الصِّرَاطُ عَلَى مَتْنِهَا وانتم تَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وتُعَايِنُونَ اَهْوَالَهَا وتَنْظُرُونَ اَهْلَهَا فَبَيْنَ مُنَادٍ مِنْ قَعْرِهَا وبَيْنَ مُنَادٍ مِنْ اَطْبَاقِهَا وبَيْنَ مُتَعَلِّقٍ بِسَلاَسِلِهَا وَكَلاَلِيبِهَا ويُقَالُ لها : " هَلِ امْتَلأْتِ " وتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾ اي جَمِيعَ ما تَلَذَّذْتُمْ به في دار الدّنيا

[فَائِـدَةٌ] :

اعلم انّ للموت اَلَمًا لا يَعْلَمُهُ الاّ مَنْ يُعَالِجُهُ ويَذُوقُهُ وهو اَشَدُّ من الضّرب بالسّيف واَعْظَمُ اَلَمًا من النّشر بالمناشير والقرض بالمقاريض وذلك انّ قَطْعَ الْبَدَنِ بالسّيف إِنَّمَا يُؤْلِمُ مَعَ بَقَاءِ قُوَّةٍ في البدن ولذلك يَسْتَغِيثُ المَضْرُوبُ ويَصِيحُ بخلاف الموت فانّ الميّت يَنْقَطِعُ صَوْتُهُ وتَضْعَفُ قُوَّتُهُ عن الصّياح لشدّة الالم والكرب فانّ الموت قد هَدَّ كُلَّ جَزْءٍ مِنْ اَجْزَاءِ البَدَنِ واَضْعَفَ كُلَّ جَارِحَةٍ فَلَمْ يَتْرُكْ له قُوَّةً للاستغاثة اَمَّا العَقْلُ فقد غَشِيَتْهُ وَسْوَسَةٌ واَمَّا اللِّسَانُ فقد اَبْكَمَهُ وامّا الاَطْرَافُ فقد اَضْعَفَها ويَوَدُّ لو قَدَرَ على الاستراحة بِالاَنِينِ وَالصِّيَاحِ ولَكِنَّهُ لاَ يَقْدِرُ على ذلك فَإِنْ بَقِيَتْ له قُوَّةٌ سُمِعَ له عند نزع الرّوح وجَذْبِهَا خُوَارٌ وغَرْغَرَةٌ مِنْ حَلْقِهِ وصَدْرِهِ وقد تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَارْتَعَدَ حتّى تَرْفَعَ الحَدْقَتَانِ الى اَعْلَى جُفُونِهِ وتَرْفَعُ الأُنْثَيَانِ الى اَعَالِي مَوْضِعِهِمَا وتَصْفَرُّ اَنَامِلُهُ ويَمُوتُ كُلُّ عُضْوٍ منه على حِدَّتِهِ فَاَوَّلُ ما يموت قَدَمَاهُ ثُمَّ سَاقَاهُ ثُمَّ فَخْذَاهُ ولِكُلِّ عُضْوٍ سَكْرَةٌ بَعْدَ سَكْرَةٍ وكُرْبَةٌ بَعْدَ كُرْبَةٍ حتّى تَبْلَغَ رُوحُهُ الى الحَلْقُومِ فعند ذلك يَنْقَطِعُ نَظْرُهُ عن الدّنيا واهلها وتُحِيطُ به الحَسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ وقدر رُوِي انّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ على مريض فقال : « إِنِّي لاَعْلَمُ مَا يَلْقَى لَيْسَ فِيهِ عِرْقٌ إِلاَّ وَهُوَ يَتَاَلَّمُ بِالْمَوْتِ عَلَى حِدَّتِهِ » ورُوِيَ انّه ﷺ لَمَّا احْتَضَرَ كان عنده قَدَحٌ مِنْ مَاءٍ يَدْخُلُ يَدَهُ فيه ويَمْسَحُ وَجْهَهُ ويَقُولُ : « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ لِلْمَيِّتِ لَسَكَرَاتٌ » وفي رِوَايَةٍ كان يَقُولُ : « اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيَّ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ » وفي رِوَيَةٍ آخر : « اَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ » وفَاطِمَةُ رضي اللّه عنها تَقُولُ : وَاكَرَبَاهْ لِكَرَبِكَ يَا ابَتَاهْ وهو يَقُولُ : « لاَ كَرْبَ عَلَى اَبِيكَ بَعْدَ الْيَوْمِ » رواه البخاري ومسلم والنّسائي ورَوَى ابن ابي الدّنيا انّه عليه الصّلاة والسّلام كان يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَاْخُذُ الرُّوحَ مِنْ بَيْنَ الْعَصَبِ وَالْقَصَبِ وَالاَنَامِلِ اللَّهُمَّ فَاَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَهَوِّنْهُ عَلَيَّ » قال شَدَّادُ بْنُ اَوْسٍ رضي اللّه : المَوْتُ اَفْظَعُ

هَوْلٍ في الدّنيا والآخرة على المؤمنين وهو اَشَدُّ اَلَمًا مِنْ نَشْرِ المَنَاشِيرِ وقَرْضِ المَقَارِيضِ وغَلْيَانِ القُدُورِ ولو انّ الميّت نُشِرَ فَاَخْبَرَ اَهْلَ الدُّنْيَا بِاَلَمِ المَوْتِ لَمَّا انْتَفَعُوا بِعِيشٍ ولا التَّذُّوا بِنَوْمٍ وفي هذا القدر كِفَايَةٌ لِمَنْ اَرَادَ الهِدَايَةَ واللّٰهُ اَعْلَمُ بالصّواب

حَقِيقَةُ النَّفْسِ وَمَا فِيهَا مِنَ الاُمُورِ

اعلم انّ مَعْرِفَةَ النَّفْسِ اَمْرٌ مُهِمٌّ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ اَفْرَادِ الإنْسَانِ لانّ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فقد عَرَفَ رَبَّهُ بِاَنْ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بالذّلّ والعَجْزِ والضَّعْفِ والفَنَاءِ عَرَفَ رَبَّهُ بالعزّ والقدرة والبقاء ومَنْ جَهِلَ نَفْسَهُ فَهُوَ بِرَبِّهِ اَجْهَلُ وَالنَّفْسُ هي لَطِيفَةٌ رَبَّانِيَّةٌ الّتي هي الرُّوحُ قَبْلَ تَعَلُّقِهَا بالاجساد وقد خَلَقَ اللّٰهُ الاَرْوَاحَ قَبْلَ الاَجْسَادِ فكانت حينئذٍ في جوار الحقّ وقُرْبِهِ فلمّا اَمَرَهَا الحَقُّ اَنْ تَتَعَلَّقَ بالاجساد عَرَفَتِ الغَيْرَ فَحَجَبَتْ عن حَضْرَةِ الحَقِّ بِسَبَبِ شُغْلِهَا عنه تعالى فلذلك احْتَاجَتْ الى مُذَكِّرٍ حيث قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَاِنَّ الذِّكْرٰى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذّاريات : ٥٥] وهي جَوْهَرٌ مُشْرِقٌ على البدن فَاِنْ اَشْرَقَ على ظاهر البدن وباطنه حَصَلَتِ اليَقَظَةُ واِنْ اَشْرَقَ على باطن البدن دون ظاهره حَصَلَ النَّوْمُ واِنْ انْقَطَعَ اِشْرَاقُهُ بِالكُلِّيَّةِ حَصَلَ المَوْتُ واَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وغَفْلَةٍ وشَهْوَةٍ وشِرْكٍ هو الرِّضَا عن النّفس واَصْلُ كُلِّ طَاعَةٍ ويَقَظَةٍ وعِفَّةٍ ومُشَاهَدَةٍ عَدَمُ الرِّضَى عنها فحينئذٍ لا شيء اَنْفَعَ للعبد مِنْ تَهْذِيبِ نَفْسِهِ ولها بِاعْتِبَارِ تَاَثُّرِهَا بالمجاهدات سَبْعُ مَرَاتِبَ :

الاولى : النَّفْسُ الاَمَّارَةُ وهي الّتي تَمِيلُ الى الطّبيعة البدنيّة وتَاْمُرُ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهْوَاتِ المَمْنُوعَةِ شَرْعًا وتَجْذِبُ القَلْبَ الى الجهة السّفليّة فهي مَاْوَى الشُّرُورِ ومَنْبَعُ الاَخْلاَقِ الذَّمِيمَةِ كالكِبْرِ والحِرْصِ والشَّهْوَةِ والحَسَدِ والغَضَبِ والبُخْلِ والحِقْدِ وهذه المَرْتَبَةُ لِغَالِبِ النُّفُوسِ قبل المجاهدة

الثّانية : النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ وهي التي تَنَوَّرَتْ بِنُورِ القَلْبِ فَتُطِيعُ القُوَّةَ العَاقِلَةَ تَارَةً وتَعْصِي اُخْرَى ثُمَّ تَنْدَمُ فَتَلُومُ نَفْسَهَا وهي مَنْبَعُ النَّدَامَةِ لانّها مَبْدَاُ الهَوَى والعَثْرَةِ والحِرْصِ

الثّالثة : النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ وهي الّتي تَنَوَّرَتْ بِنُورِ القَلْبِ حتّى تَخَلَّتْ عن صفتها الذّميمة وَاطْمَاَنَّتْ الى الكمالات ومَقَامُهَا مَبْدَاُ الكَمَالِ متى وَضَعَ السَّالِكُ قَدَمَهُ فيه عُدَّ مِنْ اَهْلِ الطَّرِيقِ لانتقاله من التّلوين الى التّمكين وصَاحِبُهَا سَكْرَانٌ هَبَّتْ عليه نَسَمَاتُ الوِصَالِ يُخَاطِبُ النَّاسَ وهو عنهم في بُعْدٍ مِنْ شِدَّةٍ تَعَلَّقَهُ بالحقّ سبحانه وتعالى

الرّابعة : النَّفْسُ المُلْهَمَةُ وهي الّتي اَلْهَمَهَا اللّٰهُ العِلْمَ والتَّوَاضُعَ والقَنَاعَةَ والسَّخَاوَةَ فلذا كانت مَنْبَعَ الصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ وَالشُّكْرِ

الخامسة : النَّفْسُ الرَّاضِيَةُ وهي الّتي رَضِيَتْ عن اللّٰه تعالى كما قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْاَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسَانٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَاَعَدَّ لَهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التّوبة : ١٠٠] وشَأْنُهَا التَّسْلِيمُ وَالتَّلَذُّذُ بالحيرة

السّادسة : النَّفْسُ المَرْضِيَّةُ وهي الّتي رَضِيَ اللَّهُ تعالى عنها ويَظْهَرُ فيها اَثَرُ رِضَاهُ تعالى وهو الكَرَامَةُ والإِخْلاَصُ والذِّكْرُ وفي هذه المربتة يَضَعُ السَّالِكُ القَدَمَ الاَوَّلَ في معرفة اللّه تعالى حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وفيها يَظْهَرُ تَجَلِّي الاَفْعَالِ

السّابعة : النَّفْسُ الكَامِلَةُ وهي الّتي صَارَتِ الكَمَالاَتُ لها طَبْعًا وسَجِيَّةً ومع ذلك تَتَرَقَّى في الكمال وتُؤْمَرُ بالرّجوع الى العباد لارشادهم وتكميلهم ومَقَامُهَا مَقَامُ تَجَلِّيَاتِ الاَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وحَالُهَا البَقَاءُ بِاللَّهِ تَسِيرُ بِاللَّهِ الى اللّه وتَرْجِعُ مِنَ اللَّهِ الى اللّه ليس لها مَاْوَى سِوَاهُ عُلُومُهَا مُسْتَفَادَةٌ من اللّه تعالى

قال بَعْضُ المَشَايِخِ الكِرَامِ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : مَنْ دَخَلَ في مذهبنا هذا فَلْيَجْعَلْ في نفسه اَرْبَعَ خِصَالٍ من الموت : ١- موت احمر ٢- وموت اسود ٣- وموت ابيض ٤- وموت اخضر فالمَوْتُ الاَحْمَرُ : مُخَالَفَةُ النَّفْسِ والمَوْتُ الاَسْوَدُ : احْتِمَالُ اَذَى النَّاسِ والمَوْتُ الاَبْيَضُ : الجُوعُ والمَوْتُ الاَخْضَرُ : طَرْحُ الرِّقَاعِ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ اهـ.

وقال ابراهيم بن ادهم (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : لا يَنَالُ الرَّجُلُ دَرَجَةَ الصَّالِحِينَ حتّى يُجَوِّزُ سِتَّ عُقُبَاتٍ : الاولى : يُغْلِقُ بَابَ النِّعْمَةِ ويَفْتَحُ بَابَ الشِّدَّةِ الثّانية : يُغْلِقُ بَابَ العِزِّ ويَفْتَحُ بَابَ الذُّلِّ الثّالثة : يُغْلِقُ بَابَ الرَّاحَةِ ويَفْتَحُ بَابَ التَّعَبِ الرّابعة : يُغْلِقُ بَابَ النَّوْمِ ويَفْتَحُ بَابَ السَّهَرِ الخامسة : يُغْلِقُ بَابَ الغِنَى ويَفْتَحُ بَابَ الفَقْرِ السّادسة : يُغْلِقُ بَابَ الاَمَلِ ويَفْتَحُ بَابَ الإِسْتِعْدَادِ للموت اهـ. والنَّفْسُ مَجْبُولَةٌ على سوء الادب والعَبْدُ مَاْمُورٌ بِمُلاَزَمَةِ الاَدَبِ فَالنَّفْسُ تَجْرِي بطبعها في ميدان المخالفة والعَبْدُ يَرُدُّهَا بِجَهْدِهِ عن سوء المطالبة فَمَنْ اَطْلَقَ عِنَانَهَا فهو شَرِيكُهَا في فسادها فهي العَدُوُّ المُلاَزِمُ للانسان لقوله عليه الصّلاة والسّلام : « اَعْدَ عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ » رواه البيهقي

وقد سُئِلَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ : بِاَيِّ قَيْدٍ تُقَيِّدُ النَّفْسَ ؟ قال : قَيَّدَهَا الجُوعُ والعَطْشُ وذَلِّلْهَا باخماد العزّ واطفاء الشّهوة وصَغِّرْهَا بِوَضْعِهَا تَحْتَ اَرْجُلِ اَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَاكْسُرْهَا بِتَرْكِ زَيِ الاَغْنِيَاءِ وَانْجُ مِنْ آفَاتِهَا بِدَوَامِ ظَنِّ السُّوءِ بها وَاصْحَبْهَا بِخِلاَفِ هَوَاهَا وروى التّرمذي بِسَنَدٍ حَسَّنَهُ : انّ رَجُلاً تَجَشَّاَ في مجلس رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال له : « اقْتَصِرْ مِنْ جُشَائِكَ فَاِنَّ اَطْوَلَ النَّاسِ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اَكْثَرُهُمْ شَعْبًا فِي الدُّنْيَا » رواه البيهقي وذُكِرَ : انّ الرّجل هو اَبُو جُحَيْفَةَ رضي اللّه عنه وانّه قال : وَاللَّهِ ما تَمْلاُ بَطْنِي طَعَامًا مُنْذُ يَوْمَئِذٍ الى يومي هذا وَاَرْجُو اَنْ يَعْصِمَنِيَ اللَّهُ عزّ وجلّ فيما بَقِيَ اهـ.

وبالحقيقية : انّ اَمْرَ النَّفْسِ وعِلاَجَهَا عَسْرٌ لا يُمْكِنُهَا بِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ بل بِالتَّكْرَارِ مَرَّةً بَعْدَ اُخْرَى فهي مُشَبَّهَةٌ بالدّابّة الحرّون فلا تُنْقَادُ الاّ باللّجام وانّما تَذُلُّ وتَنْقَادُ بِثَلاَثَةِ اَشْيَاءٍ : احدها : مَنْعُ شَهْوَاتِهَا فانّ الدّابّة الحرّون انّما تَلِينُ اذا نَقَصَ عَفْلُهَا الثّاني : حَمْلُ اَثْقَالِ الطَّاعَاتِ لانّ الدّابّة الحرّون اذا قَلَّلَ عَفْلُهَا وزِيدَ في حملها ذَلَّتْ وصَغُرَتْ وضَعُفَتْ قُوَّتُهَا وَانْقَادَتْ واَطَاعَاْت الثّالث : اَنْ تَسْتَعِينَ عليها باللّه عزّ وجلّ وتَتَضَرَّعَ اليه اَنْ يُعِينَكَ عليها

وقال سهل بن عبد اللّه التُّسْتَرِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : ما عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلَ مُخَالَفَةِ النَّفْسِ اهـ.

وقد حُكِيَ : انّ رَاهِبًا اشْتَهَرَ بِبِلاَدِ مِصْرَ بالمكاشفة فقال عَالِمٌ من المسلمين : لاَبُدَّ مِنْ قَتْلِهِ خَوْفًا على المسلمين اَنْ يَفْتِنَهُمْ فَقَصَدَهُ بِسِكِّينٍ مَسْمُومَةٍ فلمّا طَرَقَ بَابَهُ قال : اُطْرُحُ السِّكِّينَ يَا عَالِمَ المُسْلِمِينَ فَطَرَحَهَا فدخل فقال : مِنْ اَيْنَ لك نُورُ المُكَاشَفَةِ ؟ قال : بمخالفة النّفس فقال : هل لك في الاسلام ؟ قال : نعم " اَشْهَدُ اَنْ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللَّهُ وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " فقال : ما حَمَلَكَ على ذلك ؟ قال : عَرَضْتُ الإِسْلاَمَ على نفسي فَاَبَتْ فَخَالَفْتُهَا اهـ.

التَّوَكُّلُ وَالتَّفْوِيضُ وَالإِخْلاَصُ

وقال اللّه تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطّلاق : ٣] وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] وعن عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزِقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا » رواه التّرمذي والنّسائي واحمد والحاكم وصَحَّحَهُ وقال ايضًا : « مَنْ سَرَّهُ اَنْ يَكُونَ اَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ » رواه الحاكم والطّبراني وابو يعلى وغَيْرُهُمْ واخرج الطّبراني والبيهقي وصَحَّحَهُ انّ النَّبِيَّ ﷺ كان اذا نَزَلَ بِاَهْلِهِ الضِّيقُ اَمَرَهُمْ بالصّلاة ثُمَّ قَرَاَ هذه الآية الكريمة : ﴿ وَاْمُرْ اَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْئَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوٰى ﴾ [طه : ١٣٢] وروى احمد في " الزّهد " وابن ابي حاتم والبيهقي في " الشّعب " عن ثَابِتٍ رضي اللّه عنه قال : كان النَّبِيُّ ﷺ اذا اَصَابَتْ اَهْلَهُ خَصَاصَةٌ نَادَى اَهْلَهُ بالصّلاة : « صَلُّوا صَلُّوا » قال ثَابِتٌ : كان الاَنْبِيَاءُ اذا نَزَلَ بهم اَمْرٌ فَزَعَوا الى الصّلاة ورَوَى الشّيخان انّه ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الذّين يَدْخُولُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ قيل له مَنْ هُمْ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يُطِيرُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » يعني هُمُ الّذين كَمُلَ اِيمَانُهُمْ ولَمْ يَبْقَ فيهم شَيْءٌ مِنْ اُمُورِ الجَاهِلِيَّةِ كَالرُّقَى وَالإِسْتِرْقَاءِ اي طَلَبُ الرُّقَى

وهو التَّعْوِيذُ بما فيه شِرْكٌ وكَالتَّشَاؤُمِ بِالطَّيْرِ او غيره وكَإِفْرَاطٍ في الاعتقاد في الكَيِّ فَأَمَّا مَنْ رَقَى او اسْتَرْقَى بكتاب اللّه او ما جاء في سُنَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ اَوِ اكْتَوَى مَعَ اعْتِقَادٍ انّه سَبَبٌ عَادِيٌّ وانّ الشّفاء انّما هو من اللّه تعالى فانّ ذلك لا يَضُرُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى فَالتَّوَكُّلُ مِنْ لَوَازِمِ كَمَالِ الإِيمَانِ لانّه الإِعْتِمَادُ على الخالق دون رؤية الخلائق فَمَنْ تَوَكَّلَ عليه كَفَاهُ ومَنِ انْقَطَعَ اليه اَوَاهُ حيث قال تعالى : ﴿ اَلَيْسَ اللّٰهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزّمر : ٣٦] اَوْحَى اللَّهُ الى داود عليه السّلام : " يَا دَاوُدُ مَنْ دَعَانِي اَجَبْتُهُ ومَنِ اسْتَغَاثَنِي اَغَثْتُهُ ومَنِ اسْتَنْصَرَنِي نَصَرْتُهُ ومَنْ تَوَكَّلْ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ " اهـ.

والتَّوَكُّلُ : طَرْحُ البَدَنِ في العبوديّة وتَعَلُّقُ القَلْبِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ الى الكفاية فَإِنْ أُعْطِيَ شَكَرَ وإِنْ مُنِعَ صَبَرَ وقال ذُو النُّونِ المِصْرِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : التَّوَكُّلُ تَرْكُ النَّفْسِ وَالإِنْخِلاَعُ من الحول والقوّة بِأَنْ لاَ يَرَى لاَحَدٍ حِيلَةً ولا قُوَّةً الاّ باللّه اهـ. وحُكِيَ : عن عمر بن سنان رحمه اللّه قال : اجتاز بنا ابراهيم الخَوَّاصُ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) فقلنا : حَدِّثْنَا باعجب ما رَأَيْتَ في اسفارك فقال : لَقِيَنِي الخَضِرُ عليه السّلام فسالني الصُّحْبَةَ فَخَشِيتُ اَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ تَوَكُّلِي بِسُكُونِي اليه فَفَارَقْتُهُ اهـ. ورَاَى ابو سليمان الدّاراني (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) رَجُلاً بمكّة - شَرَفَها اللَّهُ تعالى - لاَ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا الاّ شربة مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ فمضى عليه اَيَّامٌ فقال له سُلَيْمَانُ يَوْمًا : اَرَاَيْتَ لَوْ غَارَتْ زَمْزَمُ ماذا كُنْتَ تَشْرَبُ ؟ فقال وقَبَّلَ رَأْسَهُ وقال : جَزَاكَ اللَّهُ تعالى خَيْرًا حيث اَرْشَدْتَنِي فانّي كُنْتُ اَعْبُدُ زَمْزَمَ منذ اَيَّامٍ ومضى اهـ. وقال ابو علي الرّوذباري (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : اذا قال الفَقِيرُ بَعْدَ خَمْسَةِ اَيَّامٍ : " اَنَا جَائِعٌ " فَاَلْزَمُوهُ السُّوقَ ومُرُوهُ بالعمل والكسب اهـ.

والدَّوَاءُ المُحَصِّلُ لِلتَّوَكُّلِ مُلاَزَمَةُ خَمْسَةِ اَذْكَارٍ :

احدها : اَنْ يُلَحِّظَ انّ اللّه تعالى عَالِمٌ بِحَالِهِ مِنْ جُوعٍ ونَحْوِهِ ولو كان تحت سبع ارضين او في اقصى الدّنيا

ثانيها : اعْتِقَادُ كَمَالِ قُدْرِتَهِ سبحانه وتعالى

ثالثها : اَنْ يُلَحِّظَ انّه مُنَزَّهٌ عَنِ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ

رابعها : اَنْ يُلَحِّظَ انّه مُنَزَّهٌ عن خلف الوعد

خامسها : اَنْ يُلَحِّظَ انّ خَزَانَتَهُ لا تَنْقُصُ اَبَدًا وانّه الكَرِيمُ الجَوَادُ الّذي لا يَنْسَى اهـ.

وعَلاَمَةُ المُتَوَكِّلِ :

اَنْ لا يَسْاَلَ ولا يَرُدَّ ولا يَحْبَسَ واَكْمَلُ اَحْوَالِهِ اَنْ يَكُونَ بين يدي اللّه تعالى كالميّت بين يدي الغاسل يَقْلُبُهُ كيف اراد لا يَكُونُ له حَرَكَةٌ ولا تَدْبِيرٌ قال ابو الدّرداء رضي اللّه عنه : ذِرْوَةُ الإِيمَانِ الإِخْلاَصُ وَالتَّوَكُّلُ وَالإِسْتِسْلاَمُ لِلرَّبِّ عزّ وجلّ وليس في المقامات اَعَزُّ مِنَ التَّوَكُّلِ فانّ

التَّوَكُّلَ على اللّه يُحَبّبُ العَبْدَ الى اللّه تعالى وانّ التَّوْفِيضَ الى اللّه يهديه وبِهُدَى اللّه يُوَافِقُ العَبْدُ رِضْوَانَ اللّه وبِمُوَافَقَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ يَسْتَوْجِبُ العَبْدُ كَرَامَةَ اللَّهِ ومَنْ يَتَوَكَّلْ على اللّه ويَسْلِمْ لقضائه ويُفَوّضُ الاَمْرَ اليه ويَرْضَ بِقَدَرِهِ فقد اَقَامَ الدِّينَ واَحْسَنَ الإيمَانَ واليَقِينَ وفَرَغَ يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ لكسب الخير واَقَامَ الاَخْلاَقَ الصَّالِحَةَ الّتي تُصْلِحُ للعبد اَمْرَهُ ومَنْ طُعِنَ في التّوكّل فقد طُعِنَ في الايمان لانّه مَقْرُونٌ به ومَنْ اَحَبَّ اَهْلَ التَّوَكُّلِ فقد اَحَبَّ اللَّهَ تعالى واَوَّلُ التَّوَكُّلِ المَعْرِفَةُ بالوكيل : " انّه هو العَزِيزُ الحَكِيمُ " وقال دَاوُدُ النَّبِيّ لسليمان عليهما السّلام : يَا بُنَيَّ انّما يُسْتَدَلَّ على تَقْوَى الرَّجُلِ بِثَلاَثٍ : ١- حُسْنُ التَّوَكُّلِ فِيمَا لَمْ يَنْلْ ٢- وحُسْنُ الرِّضَا فيما قد نال ٣- وحُسْنُ الصَّبْرِ فيما قد فات اهـ. وقال الحَكِيمُ لُقْمَانٌ عليه السّلام لِإبْنِهِ : يَا بُنَيَّ انّ الدّنيا بَحْرٌ عَمِيقٌ قد غَرَقَ فيه نَاسٌ كَثِيرٌ فَلْتَكُنْ سَفِينَتُكَ فيها تَقْوَى اللَّهِ وشراعها التَّوَكُّلُ على اللّه ولَعَلَّكَ تَنْجُو واَظُنُّكَ نَاجِيًا اهـ. وقال النَّبِيُّ ﷺ : « مَنِ انْقَطَعَ اِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلِّ كَفَاهُ اللَّهُ كُلَّ مُؤُونَةٍ وَرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنِ انْقَطَعَ اِلَى الدُّنْيَا وَكَلَّهُ اللَّهُ اِلَيْهَا » رواه الطّبراني والبيهقي في " الشّعب "

وحُكِيَ : انّ حَاتَمًا الاَصَمَّ كان تِلْمِيذًا لِشَقِيقِ البَلْخِي رحمهما اللّه قال له يَوْمًا : مُنْذُ كم صَحَبْتَنِي ؟ قال : مُنْذُ ثَلاَثَ وثَلاَثِينَ سَنَةً قال : فما تَعَلَّمْتَ مِنّي في هذا المدّة ؟ قال : ثَمَانَ مَسَائِلَ قال شَقِيقٌ : انّا للّه وانّا إليه راجع ذَهَبَ عُمْرِي معك ولَمْ تَتَعَلَّمْ الاّ ثَمَانَ مَسَائِلَ فما هي ؟ قال : الاولى : نَظَرْتُ الى هذا الخلق فَرَاَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ يُحِبُّ شَيْئًا فلا يزال مَحْبُوبُهُ معه فاذا ذهب الى قبره فَارَقَهُ فَجَعَلْتُ الحَسَنَاتِ مَحْبُوبِي فاذا دَخَلْتُ قَبْرِي دَخَلَ مَحْبُوبِي معي قال : اَحْسَنْتَ فَمَا الثَّانِيَةُ ؟ قال : نَظَرْتُ في قول اللّه عزّ وجلّ : ﴿ وَاَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى (٤٠) فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَاْوٰى (٤١) ﴾ [النّازعات : ٤٠ - ٤١] فَعَلِمْتُ انّ قَوْلَهُ تعالى حَقٌّ فَاَجْتَهَدْتُ نَفْسِي في دفع الهوى حتّى اسْتَقَرَّتْ على طاعة اللّه تعالى الثَّالِثَةُ : نَظَرْتُ الى هذا الخلق فَرَاَيْتُ كُلَّ مَنْ معه شَيْءٌ له قِيْمَةٌ وله عنده يَحْفَظُهُ ثُمَّ نَظَرْتُ في قول اللّه عزّ وجلّ : ﴿ امَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ بَاقٍ ﴾ [النّحل : ٩٦] فَكُلُّمَا وَقَعَ لي شَيْءٌ له قِيْمَةٌ ومِقْدَارٌ وَجَّهْتُهُ الى اللّه تعالى لِيَبْقَى لي عنده الرَّابِعَةُ : نَظَرْتُ الى هذا الخلق فَرَاَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ منهم يَرْجِعُ الى المال والحسب والشّرف والنّسب فَنَظَرْتُ فاذا هي لا شَيْءَ ثُمَّ نَظَرْتُ الى قَوْلِهِ تعالى : ﴿ اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰيكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] فَعَمَدْتُ الى التّقوى حتّى اَكُونَ عند اللّه تعالى كَرِيمًا الخَامِسَةُ : نَظَرْتُ الى هذا الخلق فَوَجَدْتُ بَعْضَهُمْ يَطْعَنُ في بَعْضٍ ويَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَعَلِمْتُ انّ اصل ذلك كلّه الحَسَدُ ونَظَرْتُ الى قَوْلِهِ تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ

مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ﴾ [الزّخرف : ٣٢] فَتَرَكْتُ الحَسَدَ وعَدَوَاةَ الخَلْقِ وعَلِمْتُ انّ الّذي قُسِمَ لي كَائِنٌ لاَبُدَّ منه السَّادِسَةُ : نَظَرْتُ الى هذا الخلق يَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ويُعَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَنَظَرْتُ الى عَدُوّي في الحقيقة فاذا هي هو الشَّيْطَانُ وقد قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٦] فَعَادَيْتُهُ واَحْبَبْتُ النَّاسَ اَجْمَعِينَ السَّابِعَةُ : نَظَرْتُ الى الخلق فَوَجَدْتُهُمْ يَطْلُبُونَ الكَثْرَةَ ويَذِلُّونَ اَنْفُسَهُمْ بسببها ثُمَّ نَظَرْتُ الى قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْاَرْضِ اِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا ﴾ [هو : ٦] فَعَلِمْتُ اَنِّي مِنْ جُمْلَةِ المَرْزُوقِينَ فَاشْتَغَلْتُ باللّه عزّ وجلّ وتَرَكْتُ ما سواه الثَّامِنَةُ : نَظَرْتُ الى هذا الخلق فَرَاَيْتُهُمْ يَتَوَكَّلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ويَتَوَكَّلُ هذا على تجارته وهذا على صنعته وهذا على صحّة بدنه وكُلُّ مَخْلُوقٍ يَتَوَكَّلُ على مخلوق فَرَجَعْتُ الى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطّلاق : ٣] فَتَوَكَّلْتُ على اللّه عزّ وجلّ فقال الشَّقِيقُ : وَفَّقَكَ اللَّهُ يَا حَاتَمُ فلقد جَمَعْتَ الاُمُورَ كُلَّهَا اهـ.

[فَائِــدَةٌ] :

ذَكَرَ الإِمَامُ السُّيُوطِي رحمه اللّه في لفظ " المرجان " عن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما قال : « يَلْتَقِي الْخَضِرُ وَإِلْيَاسُ فِي كُلِّ عَامٍ فِي الْمَوْسِمِ وَيَفْتَرِقَانِ عَنْ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ : " بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءِ اللَّهُ لاَ يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلاَّ اللَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ يُصَرِّفُ السُّوءَ إِلاَّ اللَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ » وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَنْ قَالَهَنَّ حين يَصْبَحُ وحِينَ يُمْسِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ اَمَّنَهُ اللَّهُ مِنَ الغَرَقِ والحَرَقِ والسَّرَقِ ومن الشّطيان والسّلطان ومن الحيّة والعقرب اهـ. فَيَنْبَغِي للمريد الآخرة اَنْ يَسْتَعْمِلَهُ فانّه سَبَبٌ في التّوكّل

المَحَبَّةُ وَالشَّوْقُ وَالْوَجْدُ

اَجْمَعِتِ الاُمَّةُ : انّه حُبُّ اللَّهِ ورسوله فَرْضُ عَيْنٍ على كُلِّ اَحَدٍ حيث قال اللّه تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا اَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا اِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ اَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا وَاَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] وقال اللّه تعالى : ﴿ اقُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « لاَ يُؤْمِنُ اَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اَحَبَّ اِلَيْهِ مِنْ اَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسُ اَجْمَعِينَ » اخرجه البخاري في " صحيحه " والمَحَبَّةُ : مَيْلُ الطَّبْعِ

الى الشّيء لكونه لَذِيذًا عند المحبّ فَإِنْ تَاَكَّدَ ذلك المَيْلُ وقَوِيَ سُمّيَ صَبَابَةً لانصباب القلب اليه بِالْكُلِّيَّةِ فاذا قَوِيَ سُمّيَ غَرَامًا لانّه يَلْزَمُ القَلْبَ كلزوم الغريم فاذا قَوِيَ سُمّيَ عَشْقًا اي اِفْرَاطًا في المحبّة فاذا قَوِيَ سُمّيَ شَغْفًا لانّه يَصِلُ الى شغاف القلب مِنْ داَخِلِهِ فاذا قَوِيَ سُمّيَ تَتَيُّمًا أي تَعَبُّدًا لانّه يَصِيرُ المُحَبَّ عَبْدًا للمحبوب فيكون ذلك المُحَبُّ مُتَيَمَّمًا مَاْمُورًا ومَغْرَمًا مَاْسُورًا لا يُقَرَّ له قَرَارٌ ولا يُفَرّقُ بين النّافع والضّارّ ولا تَحْصُلُ حَقِيقَةُ المَحَبَّةِ من العبد لربّه الاّ بعد سلامة القلب مِنْ كَدُورَاتِ النَّفْسِ فاذا اسْتَقَرَّتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ في القلب خَرَجَتْ مَحَبَّةُ الغَيْرِ لانّ المحبّة صِفَةٌ مُحْرِقَةٌ تُحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ ليس مِنْ جِنْسِهَا وعَلاَمَتُهَا : قَطْعُ الشَّهَوَاتِ الدّنيا والآخرة وقال يحيى بن معاذ رضي اللّه عنه : صَبْرُ المُحِبّينَ اَشَدُّ مِنْ صَبْرِ الزَّاهِدِينَ وعَجِبْتُ كيف تَدَّعِي مَحَبَّةَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ اجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ فَمَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ مِنْ غَيْرِ اجْتِنَابِ الشَّهْوَاتِ فهو كَذَّابٌ ومَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ الجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ اِنْفَاقٍ مَلَّكَهُ فهو كَذَّابٌ اهـ. وقيل : ظَاهِرُ المَحَبَّةِ رضا المحبوب وبَاطِنُهَا اِعْطَاءُ القَلْبِ الى المحبوب بحيث لا يَبْقَى فيه بَقِيَّةٌ لغيره اهـ. واعلم انّ المُحِبّينَ على ثَلاَثَةِ اَقْسَامٍ : ١- عَوَامٌ ٢- خَوَاصٌّ ٣- خَوَاصُّ الخَواصّ فامّا العَوَامُ : فَمَحَبَّتُهُمْ له سبحانه وتعالى لوفور احسانه وامّا الخَوَاصُّ : فَمَحَبَّتُهُمْ خَالِصَةٌ عن الشّوائب وامّا خَوَاصُّ الخَوَاصّ : فَمَحَبَّتُهُمْ عِبَارَةٌ عَنِ التَّعَشُّقِ الّذي به يَنْمَحِي العَاشِقُ عِنْدَ تَجَلّي نُورِ مَعْشُوقِهِ فاذا عَلِمَ المَحْبُوبُ صِدْقَ مُحِبّهِ في محبّته رَفَعَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ الحِجَابَ فَاَطْلَعَهُ على اسراره وكَشَفَ له عن عُلُومٍ غَامِضَةٍ واَسْرَارٍ عَالِيَةٍ وفي اخبار داود عليه السّلام انّ اللّه تعالى قال : " يَا دَاوُدُ بَلِّغْ اَهْلَ اَرْضِي اَنّي حَبِيبٌ لِمَنْ اَحَبَّنِي وجَلِيسٌ لِمَنْ جَالَسَنِي ومُؤْنِسٌ لِمَنْ اَنَسَ بِذِكْرِي وصَاحِبٌ لِمَنْ صَاحَبَنِي وَمُخْتَارٌ لِمَنْ اخْتَارَنِي وَمُطِيعٌ لِمَنْ اَطَاعَنِي ما اَحَبَّنِي عَبْدٌ اَعْلَمُ ذلك يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ الاّ قَبَلْتُهُ لنفسي واَحْبَبْتُهُ حُبًّا لا يَتَقَدَّمُ عليه اَحَدٌ مِنْ خَلْقِي مَنْ طَلَبَنِي بالحقّ وَجَدَنِي ومَنْ طَلَبَ غَيْرِي لَمْ يَجِدْنِي فَارْفَضُوا يا اهل الارض ما انتم عليه مِنْ غُرُورِها وهَلُمُّوا الى كرامتي ومصاحبتي وَائْتَنِسُوا بي اُونِسُكُمْ واسارع الى محبّتكم فانّي خَلَقْتُ طِينَةَ اَحْبَابِي مِنْ طِينَةِ ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفوتي اِنّي خَلَقْتُ قُلُوبَ المُشْتَاقِينَ مِنْ نُورِي ونِعْمَتَهَا بجلالي اهـ.

واَمَّا الشَّوْقُ : فهو انْجِذَابُ القَلْبِ الى مشاهدة المحبوب ويُقَالُ : هو نَارُ اللَّهِ اَشْعَلَهَا في قلوب اوليائه حتّى يَحْرِقَ به ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات وهو نَاشِيءٌ عن المحبّة فاذا بَلَغَهُ اسْتَبْطَاَ المَوْتَ شَوْقًا الى ربّه واخذ في التّواجد والتّطاير الى حَضْرَةِ قُرْبِهِ قيل لبعض الحكماء : لو شَاءَ اللَّهُ اَنْ يَدِيمَ البَقَاءِ لاوليائه في الدّنيا فقال : يَاْبَى اللَّهُ اَنْ يَجْعَلَ الخُلُودَ لاوليائه في الدّنيا بل اخْتَارَ لاوليائه واحبابه ما عنده مِنْ جَزِيلِ كَرَامَتِهِ اَمَا تَعْلَمُونَ انّ الحبيب يَشْتَاقُ الى حبيبه فَطُوبَى لِمَنْ كان رُوحُهُ ورَاحَتُهُ في لقاء اللّه اهـ. ولمّا احْتَضَرَتِ

السَّيِّدَةُ نَفِيسَةٌ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهَا) وهي صَائِمَةٌ اَلْزَمُوها الفِطْرَ فقالت : وَاعَجَبَاهْ ! انّي مُنْذُ ثَلاَثِينَ سَنَةَ اَسْاَلُ اللَّهَ اَنْ اَلْقَاهُ وانا صَائِمَةٌ اَفَاُفْطِرُ الآنَ ؟ هذا لا يَكُونُ ثُمَّ اَنْشَدَتْ تَقُولُ :

اصْرُفوا عَنّي طَبِيبِي ۞ وَدَعُونِي وَحَبِيبِي
زَادَنِي شَوْقِي اِلَيْهِ ۞ وَغَرامِي وَنَحْيَبِي

ثُمَّ ابْتَدَاَتْ في سورة " الانعام " فلمّا وَصَلَتْ الى قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الانعام : ١٢٧] خَرَجَ السِّرُّ الإلَهِي اهـ.

وقال الجُنَيْدُ البَغْدَادِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : دَخَلْتُ عَلَى السَّرِيِّ السَّقَطِي في مرضه فَقُلْتُ له : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قال :

كَيْفَ اَشْكُو اِلَى الطَّبِيبِ لِمَا بِي ۞ وَالَّذِي قَدْ اَصَابَنِي مِنْ طَبِيبِي
لَيْسَ لِي رَاحَةٌ وَلاَ لِي شِفَاءٌ ۞ مِنْ سَقَامِي اِلاَّ بِوَصْلِ حَبِيبِي

وقال ابراهيم بن ادهم (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) :دَخَلْتُ جَبَلَ لُبْنَانٍ فاذا انا بِشَابٍّ قَائِمٍ يَقُولُ : يا مَنْ قَلْبِي له مُحِبٌّ ونَفْسِي له خَادِمَةٌ وشَوْقِي اليه شَدِيدٌ متى اَلْقَاكَ ؟ فَقُلْتُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ما عَلاَمَةُ حُبِّ اللَّهِ ؟ قال : حُبُّ ذِكْرِهِ قُلْتُ : فما عَلاَمَةُ الْمُشْتَاقِ ؟ قال : اَنْ لا يَنْسَاهُ في كُلِّ حَالٍ اهـ.

وَقَالَ فَارِسٌ : قُلُوبُ المُشْتَاقِينَ مُنَوَّرَةٌ بنور اللّه تعالى فاذا تَحَرَّكَ اشْتِيَاقُهُمْ اَضَاءَ النُّورُ بين السّماء والارض فيعرضهم اللَّهُ تعالى على الملائكة فَيَقُولُ : هؤلاء المُشْتَاقُونَ اِلَيَّ اُشْهِدُكُمْ يا ملائكتي اَنّي اليهم اَشُوقُ اهـ. وقيل : مَنْ اشْتَاقَ الى اللّه تعالى اشْتَاقَ اليه كُلُّ شَيْءٍ اهـ.

وَاَمَّا الْوَجْدُ : فهو وَارِدٌ يَرِدُ على القلب مِنْ كَشْفِ اَسْرَارِ الذَّاتِ وَاَنْوَارِها فَيَدْهَشُ الرُّوحُ او يَظْهَرُ ذلك على الجوارح فَيَهْتَزُّ الرَّأْسُ ويَشْطَحُ البَدَنُ وهو ثَابِتٌ بالكتاب والسّنّة حيث قال اللّه تعالى : ﴿ اَلَمْ يَاْنِ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ ﴾ [الحديد : ١٦] وقال اللّه تعالى : ﴿ اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اٰيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيمَانًا وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الانفال : ٢] فانّ صَاحِبَ الخُشُوعِ القلبي والوجل بذكر اللّه تعالى قد يَغِيبُ عَقْلُهُ عن احترام النّاس واعتبار اهل المجلس فَيَقُومُ ويَقْعَدُ ويَدُورُ ويَتَوَاجَدُ ورُبَّمَا يَسْقُطُ على الارض على حسب قوّة استعداده لتحمّل الواردات الالهيّة عليه فهو في طَاعَةٍ وعِبَادَةٍ مِنْ غَيْرِ شُبْهَةٍ عند كُلِّ اَحَدٍ مِنْ اَهْلِ الإسْلاَمِ والإيمَانِ ولا يَجُوزُ سُوءُ الظَّنِّ به حيث قال تعالى : ﴿ اَفَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهُ لِلْاِسْلَامِ فَهُوَ عَلٰى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّٰهِ اُولٰئِكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الزّمر : ٢٢] وفي بعض الآثار : « جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الرَّحْمَنِ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ » وذُكِرَ في مسند الامام احمد بن حمبل عن عليّ كرم اللّه وجهه قال : اَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ انا

وجَعْفَرُ وزَيْدٌ فقال النَّبِيُّ ﷺ لِزَيْدٍ : « اَنْتَ مَوْلاَيَ » فَحَجَلَ فقال لِجَعْفَرَ : « اَنْتَ اَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلْقِي » فَحَجَلَ ثُمَّ قال لي : « اَنْتَ مِنِّي » فَحَجَلْتُ والحَجْلُ : هو رَفْعُ رِجْلٍ ومَشْيٍ على الاخرى وهو مِنْ نَتَائِجِ التَّوَاجُدِ وقد صَحَّ عن بعض الصّحابة الكرام التَّوَاجُدُ فلا يجوز سُوءُ الظَّنِّ باهل التّواجد لقوله تعالى : ﴿ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ اِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ اِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا اَيُحِبُّ اَحَدُكُمْ اَنْ يَاْكُلَ لَحْمَ اَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] فانّ سُوءَ الظَّنِّ بالمسلم حَرَامٌ قَطْعًا وَالتَّاْوِيلُ وَاجِبٌ في اقواله وافعاله

وقد يَحْصُلُ من المريد في حال الجذبة صُرَاخٌ وتَخَبُّطٌ وصَرْعٌ وبُكَاءٌ فَاَدَبُهُ في ذلك الوقت اَنْ يَسْلِمَ نَفْسَهُ لوارده يَتَصَرَّفُ فيه كيف يشاء ولا يَمْنَعُ نَفْسَهُ من الصّراخ والبكاء لِئَلاَّ يَتَضَرَّرَ وللمريد الآخرة الصّادق اَنْ يَتَوَاجَدَ لطلب الحقيقة بمنزلة التّباكي المامور به لِمَا رُوِيَ مَوْقُوفًا على ابي بكر وابي موسى الاشعري وعبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهم : « ابْكُوا فَاِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا »

وقال بَعْضُ العَارِفِينِ باللّه (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : انّ العَيْنَيْنِ لا تَبْكِيَانِ حتّى يَاْتِيَ مَلَكٌ من اللّه فَيَمْسَحُ قَلْبَهُ بِجَنَاحِهِ فَتَبْكِي عَيْنَا قَلْبِهِ فَيَظْهَرُ بذلك في عيني راسه فاذا تَمَكَّنَ منك هذا الوَجْدُ اَدْهَشَكَ فإذا اَدْهَشَكَ حَيَّرَكَ فانت ههنا مُرِيدٌ فاذا دَامَ تَحَيُّرُكَ اَخَذَكَ منك وسَلَبَكَ عنك فَتَبْقَى مَسْلُوبًا ثُمَّ مَجْذُوبًا اهـ.

وقال بَعْضُ العَارِفِينِ باللّه (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : سَبَبُ اضْطِرَابِ الإنْسَانِ بالصّوت الحسن انّ الرّوح تَتَذَكَّرُ لَذِيذَ الخِطَابِ يَوْمَ : ﴿ اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلٰى شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢] حين اُخْرِجَتْ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عليه السّلام وخُوطِبَتْ بذلك فَتَحَنُّ لِمَا تَتَذَكَّرُ ذلك اهـ.

وقال جنيد البغدادي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : لا يُؤْذَنُ لمريد الآخرة في السّماع الاّ اذا كان يُرْسِلُ وَجْدَهُ اذا شاء ويَقْبِضُهُ اذا شاء ومِنْ عَلاَمَةِ صِحَّةِ الوَجْدِ اَنْ يُعْطَى قُوَّةٌ في حال سماعه زَائِدَةٌ على قوّته في حال الصّحو كَاَنْ يَحْمِلَ صَخْرَةً عَظِيمَةً او يَقْلَعَ شَجَرَةً كَبِيرَةً مِنْ اَصْلِهَا او نحو ذلك اهـ. وكان الشّيخ ابو الحمائل رحم اللّه عنه وهو ابن نحو مائة سَنَةٍ يَحْمِلُ زِيرَ الجَامِعِ وهو مَلآنٌ ويَدُورُ به في حال السّماع وكان اذا صَحَّا يَعْجِزُ عَنْ حَمْلِ اِبْرِيقِهِ للوضوء

الخَلْوَةُ فِي الطَّرِيقَةِ

واعلم انّه لا يُمْكِنُ الوُصُولُ الى معرفة الاصول وتنوير القلوب لِمُشَاهَدَةِ المَحْبُوبِ الاّ بالخلوة خُصَوصًا لِمَنْ اَرَادَ اِرْشَادَ عِبَادِ اللَّهِ الى المقصود وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يَخْتَلِّي بِغَارِ حِرَاءٍ حتّى جاءه الاَمْرُ بالدّعوة كما في صحيح البخاري واَقَلُّ الخَلْوَةِ ثَلاَثَةُ اَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا ثُمَّ سَبْعَةٌ ثُمَّ شَهْرٌ وهو الّذي اتَّفَقَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : « مَنْ اَخْلَصَ لِلَّهِ اَرْبَعِينَ صَبَاحًا تَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ » رواه اَحمد في الزّهد وَابْنُ عَادِي وقد اَخْطَاَ مَنْ حَكَمْ عليه بِالْوَضْعِ ولِلْخَلْوَةِ فِي الطَّرِيقَةِ عِشْرُونَ شَرْطًا :

الاَوَّلُ : اِخْلاَصُ النِّيَّةِ بِقَطْعِ مَادَّةِ الرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ ظَاهِرًا وبَاطِنًا

الثَّانِي : اسْتِئْذَانٌ مِنْ شَيْخِهِ وطَلَبُ الدُّعَاءِ منه ولا يَدْخُلُ بلا اذن ما دام في حِجْرِ التَّرْبِيَّةِ

الثَّالِثُ : تَقْدِيمُهُ عليها العُزْلَةُ وتَعَوُّدُ السَّهَرِ والجُوعُ والذِّكْرُ بحيث تَاَلَّفَ نَفْسَهُ هذه الاَشْيَاءَ قبل دُخُولِهِ

الرَّابِعُ : اَنْ يَدْخُلَ بِرِجْلِهِ اليُمْنَى مُسْتَعِيذًا باللّه من الشّيطان مُبَسّلَمًا واَنْ يَقْرَاَ سُورَةَ " النَّاسِ " ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ اليُسْرَى قَائِلاً : « اللَّهُمَّ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ كُنْ لِي كَمَا كُنْتَ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَارْزُقْنِي مَحَبَّتَكَ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَاشْتَغَلْنِي بِجَمَالِكَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُخْلَصِينَ اللَّهُمَّ امْحِ نَفْسِي بِجَذَبَاتِ ذَاتِكَ يَا اَنِيسُ مَنْ لاَ اَنِيسَ لَهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَاَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ » فَيَقُومُ على المُصَلَّى ويَقُولُ : « اِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالاَرْضَ حَنِيفًا وَمَا اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » احدى وعشرون مَرَّةً ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يَقْرَاُ في الاولى سُورَةَ " الفَاتِحَةِ " و" آيَةَ الكُرْسِي" وفي الثّانية سُورَةَ " الفَاتِحَةِ "و" آمَنَ الرَّسُولُ " وبعد السّلام يَقُولُ : « يَا فَاتِحُ » خمسمائة مَرَّةٍ ثُمَّ يَشْتَغِلُ بالذّكر الّذي لَقَّنَهُ شَيْخُهُ

الخَامِسُ : مُلاَزَمَةُ الوُضُوءِ

السَّادِسُ : اَنْ لاَ يُعَلِّقَ هِمَّتَهُ بالكرامات

السَّابِعُ : اَنْ لا يَسْنَدَ ظَهْرَهُ الى جِدَارٍ

الثَّامِنُ : اَنْ يُلاَزِمَ صُورَةَ شَيْخِهِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

التَّاسِعُ : اَنْ يَكُونَ صَائِمًا

العَاشِرُ : السُّكُوتُ الاّ عن ذكر اللّه او ما دَعَتْ اليه ضَرُورَةٌ شَرْعِيَّةٌ وما عَدَا ذلك مُضِيعٌ لِلْخَلْوَةِ مُذْهِبٌ لِنُورِ القَلْبِ

الحَادِي عَشَرَ : اَنْ يَكُونَ مُسْتَيْقِظًا لاَعْدَائِهِ الاَرْبَعَةِ : ١- الشَّيْطَانِ ٢- والدُّنْيَا ٣- والهَوَى ٤- والنَّفْسِ بِاَنْ يَذْكُرُ كُلَّ ما يَرَاهُ لِشَيْخِهِ

الثَّانِي عَشَرَ : اَنْ يَكُونَ بَعِيدَةٍ مِنْ حِسِّ الاَصْوَاتِ

الثَّالِثُ عَشَرَ : المُحَافَظَةُ على الجمعة والجماعة فانّ المراد الاعظم مِنَ الخَلْوَةِ مُتَابَعَةٌ النَّبِيِّ ﷺ

الرَّابِعُ عَشَرَ : اذا خَرَجَ لِضَرُورَةٍ غَطَّى رَأْسَهُ الى رَقَبَتِهِ نَاظِرًا الى الارض

الخَامِسُ عَشَرَ : اَنْ لا يَنَامَ الاّ عن غَلَبَةِ نَوْمٍ مع الطّهارة ولا يَنَامَ لِرَاحَةِ البَدَنِ بل إِنْ قَدَرَ اَنْ لاَ يَضَعَ جَنْبَهُ على الارض ويَنَامَ جَالِسًا فَعَلَ

السَّادِسُ عَشَرَ : المُحَافَظَةُ على الامر الاوسط بين الجوع والشَّبْعِ

السَّابِعُ عَشَرَ : اَنْ لاَ يَفْتَحَ البَابَ لِمَنْ يُرِيدُ التَّبَرُّكَ به الاّ لِشَيْخِهِ

الثَّامِنُ عَشَرَ : اَنْ يَرَى كُلَّ نِعْمَةٍ حَصَلَتْ له إِنَّمَا هي مِنْ شَيْخِهِ وهو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

التَّاسِعُ عَشَرَ : نَفْيُ الخَوَاطِرِ كُلِّهَا خَيْرًا كانت او شَرًّا لانّ الخواطر تُفْرِقُ القَلْبَ عن الجميعة الحاصلة بالذّكر

العِشْرُونَ : دَوَامُ الذِّكْرِ بِالْكَيْفِيَّةِ الّتي اَمَرَهُ بها شَيْخُهُ الى اَنْ يَأْمُرَهُ بالخروج

اِتِّخَاذُ الأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ

اعْلَمُوا - وَفَّقَنِي اللَّهُ وايّاكم الى الخيرات وأَزَالَ عَنْ قُلُوبِنَا جَمِيعَ الغَفْلاَتِ - : اَنَّ التَّحَابَّ فِي اللَّهِ والأُخُوَّةَ فِي دِينِهِ مِنْ اَفْضَلِ القُرُبَاتِ فَيَجِبُ على المسلمين الموحّدين اَنْ تَتَحَابَّ قُلُوبُهُمْ وتَتَّفِقَ كَلِمَتُهُمْ لِاعْلاَءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَاَنْ يَجْتَمِعُوا على طاعة اللّه ورسوله وَاَنْ يَكْثُرُوا من الاخوان حيث قال اللّه تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ كُنْتُمْ اَعْدَاءً فَاَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهٖ اِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وقال تعالى ايضًا : ﴿ وَاِنْ يُرِيدُوا اَنْ يَخْدَعُوكَ فَاِنَّ حَسْبَكَ اللّٰهُ هُوَ الَّذِى اَيَّدَكَ بِنَصْرِهٖ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَاَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ اَنْفَقْتَ مَا فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا مَا اَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ اَلَّفَ بَيْنَهُمْ اِنَّهٗ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) ﴾ [الانفال : ٦٢-٦٣] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ اِخْوَانًا كَمَا اَمَرُكُمْ » رواه مسلم وغَيْرُهُ] وفي روايةٍ : « اِنَّ اَحَبَّكُمْ اِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وإِنَّ اَبْغَضَكُمْ اِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمَشَّؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الإِخْوَانِ » رواه الطّبراني في " المعجم الاوسط والصّغير " وفي روايةٍ آخر : « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإِخَوَانِ فإِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنَةٍ شَفَاعَةً

يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه ابْنُ النَّجَارِ وفي الحديث القدسي : « ابْنُ آدَمَ لَكَ مَا نَوَيْتَ وَعَلَيْكَ مَا اكْتَسَبْتَ وَاَنْتَ مَعَ مَنْ اَحْبَبْتَ » وقال النَّبِيُّ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ آلِفٌ مَأْلُوفٌ وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يَؤْلَفُ وَلاَ يُؤْلَفُ » رواه احمد والحاكم وغَيْرُهُمَا وعن عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما انّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَنْ اَحَبَّ رَجُلاً لِلَّهِ فَقَالَ : " اِنِّي اُحِبُّكَ لِلَّهِ " فَدَخَلاَ جَمِيعًا الْجَنَّةَ فَكَانَ الَّذِي اَحَبَّ اَرْفَعَ مَنْزِلَةً مِنَ الآخِرِ وَاَحَقَّ بِالَّذِي اَحَبُّ لِلَّهِ » رواه البزّار بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وفي روايةٍ : « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : اَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اَحَبَّ اِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَاَنْ يُحِبَّ الْمَرْءُ لاَ يُحِبُّهُ اِلاَّ لِلَّهِ تَعَالَى وَاَنْ يُكْرِهَ اَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يُكْرِهُ اَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ » رواه البخاري في " صحيحه " وفي الحديث القدسي : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : " وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِينَ فِيَّ وَالْمُبْتَاذِلِّينَ فِيَّ » وقال النَّبِيُّ ﷺ : « اِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مَلَكًا نِصْفُهُ مِنْ نَارٍ وَنِصْفُهُ مِنْ ثَلْجٍ يَقُولُ : " اللَّهُمَّ كَمَا اَلَّفْتَ بَيْنَ الثَّلْجِ وَالنَّارِ اَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ عَلَى طَاعَتِكَ " » اخرجه الدّيلمي في " مسنده " وابو الشّيخ وابن حبّان في كتابه " العظمة " وفي روايةٍ : « مَا اَحْدَثَ اَحَدٌ اِخَاءً فِي اللَّهِ اِلاَّ اَحْدَثَ اللَّهُ لَهُ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ » رواه ابن ابي الدّنيا والدّيلمي ويُرْوَى : « اِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ : " مَا فَعَلَ صَدِيقِي فَلاَنٌ " وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : " اَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ فِي الْجَنَّةِ " فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ : " فَمَا لَنَا مَنْ شَافِعِينَ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ " » وعن انس بن مالك رضي اللّه عنه انّه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادًا يُوضَعُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَنَابِرُ يَقْعُدُونَ عَلَيْهَا هُمْ قَوْمٌ لِبَاسُهُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ لَيْسُوا بِاَنْبِيَاءٍ وَلاَ شُهَدَاءٍ يَغْبِطُهُمُ الاَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ » فقالوا : مَنْ هُمْ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « الْمُتَحَابُونَ فِي اللَّهِ وَالْمُتَزَاوِرُونَ فِي اللَّهِ وَالْمُتَجَالِسُونَ فِي اللَّهِ » رواه الطّبراني في " المعجم الاوسط " ورُوِيَ عن ابي هريرة رضي اللّه عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ اَنَّهُ قال : « اِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرُفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا اَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَحَابِّينَ وَالْمُتَزَوِرِينَ وَالْمُتَبَاذِلِينَ » رواه الطّبراني وقال النَّبِيُّ ﷺ : « الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عُمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ اَلْفِ غُرْفَةٍ يُشْرِفُونَ عَلَى اَهْلِ الْجَنَّةِ يُضِيءُ حُسْنِهِمْ لاَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ لاَهْلِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ اَهْلُ الْجَنَّةِ : " انْطَلِقُوا بِنَا نَنْظُرْ اِلَى الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ فَيُضِيءُ حُسْنِهِمْ لاَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ ثِيَابَ سُنْدُسٍ خُضْرٍ مَكْتُوبٍ عَلَى جِبَابِهِمْ : " الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ " » رواه الحكيم والحاكم التّرمذي في " نوادر الاصول " ورَوَى الطّبراني عنه : « الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى كَرَاسِي مِنْ يَقُوتٍ حَوْلَ الْعَرْشِ » وروى الحاكم وصَحَّحَهُ مَرْفُوعًا : « مَا تَحَابَّ رَجُلاَنِ فِي اللَّهِ اِلاَّ كَانَ اَفْضَلُهُمَا اَشَدَّهُمَا حِبًّا لَصِاحِبِهِ » ورَوَى الطّبراني عن معاذ بن جبل رضي اللّه عنه رَفْعَهُ : « مَا تَحَابَّ رَجُلاَنِ فِي

اللَّهِ تَعَالَى اِلاَّ وُضِعَ لَهُمَا كُرْسِيٌّ فَاَجْلَسَا عَلَيْهِ حَتَّى يَفْرِغَ اللَّهُ مِنَ الْحِسَابِ » واخرجه احمد والحكام وصَحَّحَهُ وغَيْرُهُمَا مَرْفُوعًا قال اللّه تبارك وتعالى : « حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لَلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ » وفي رواية : زِيَادةُ ذِكْرِ : " المُتَجَالِسِينَ وَالْمُتَلاَقِينَ " بِلَفْظِ : « وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَجَالِسُونَ فِيَّ وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَلاَقُونَ فِيَّ » وقال النَّبِيُّ ﷺ : « اَتَدْرُونَ : اَيُّ عُرَى الإيمَانِ اَوْثَقُ ؟ » قِيلَ : الصَّلاَةُ قال : « الصَّلاَةُ حَسَنَةٌ وَلَيْسَتْ بِذَلِكَ » قيل : الصِّيَامُ فقال مِثْلَ ذلك حتّى ذَكَرُوا الجِهَادَ فقال مِثْلَ ذلك ثُمَّ قَالَ : « اَوْثَقُ عُرَى الإيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ » رواه الامام احمد وابو داود الطّيالسي والطّباراني ويَنْبَغِي لِمَنْ آخَى اَنْ يُرَاعِيَ الآدَابَ مع الاخوان ولِنَذْكُرَ لك شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ :

حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « لاَ يُؤْمِنُ اَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لاَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » رواه البخاري ومسلم اي من الطّاعات والمباحات الدّنيويّة سواء كان ذلك في الامور الحسّيّة كالغنى او المعنويّة كالعلم فَيَكُونُ معه كَالنَّفْسِ الوَاحِدَةِ كما قال النَّبِيُّ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ كَالْحَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ الْجَسَدُ بِالْحُمَى وَالسَّهْرِ » رواه مسلم والامام احمد وغَيْرُهُمَا ويُقَالُ : اذا مات صَدِيقُ الرَّجُلِ فَقَدَ عُضْوًا مِنْ اَعْضَائِهِ وكُلُّ مُصِيبَةٍ سِوَى فِرْقَةِ الإخْوَانِ هِينَةٌ كما قال بَعْضُهُمْ :

وَجَدْتُ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ جَمِيعَهَا ۞ سِوَى فِرْقَةِ الإخْوَانِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ

وقال بَعْضُهُمْ : لقد عَهَدْتُ اَقْوَامًا فَارَقْتُهُمْ مُنْذُ ثَلاَثِينَ سَنَةً ما تَخَيَّلَ لِي انّ حَسْرَتَهُمْ ذَهَبَتْ مِنْ قَلْبِي اهـ. وقال النَّبِيُّ ﷺ : « لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا » اي لا يَنْجَشُ بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ بِاَنْ يَزِيدَ في ثمن المبيع لا لِرَغْبَةٍ فيه ولو قَصَدَ به اَنْ يُبَلِّغَ الثَّمَنَ القِيْمَةَ وهو حَرَامٌ اِجْمَاعًا « وَلاَ تَبَاغَضُوا » اي لا يُبْغِضُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِتَعَاطِي اَسْبَابِ البُغْضِ كَالشَّتْمِ ومَنْعِ النَّفْعِ وعَدَمِ السَّلاَمِ « وَلاَ تَدَابَرُوا » والمراد مِنَ التَّدَابُرِ لاَزِمُهُ وهو الإعْرَاضُ المُؤَدِّي الى التّقاطع والمُعَادَاةِ بِاَنْ يعرض عمّا يَجِبُ له عليه مِنْ حُقُوقِ الإسْلاَمِ كاللاعانة والنّصر وعدم الهجر في الكلام اَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثَةِ اَيَّامٍ الاّ لِعُذْرٍ شَرْعِيّ « وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ... » الخ بِاَنْ يَقُولُ آخَرُ لِمُشْتَرِي سِلْعَةٍ في زمان الخيار : " اِفْسَخْ هذا البَيْعَ وانا اُبِيعُكَ مِثْلَهُ بِاَقَلّ مِنْ ثَمَنِهِ او اَجْوَدَ منه بِثَمَنِهِ او اَقَلَّ « وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » اي اكْتَسَبُوا ما تَصِيرُونَ به اِخْوَانًا مِنْ فِعْلِ المَاْلُوفَاتِ وتَرْكِ المُنَفِّرَاتِ كَطَلاَقَةِ الوَجْهِ والمُصَافَحَةِ وعِيَادَةِ المَرِيضِ ونَحْوِ ذَلِكَ « الْمُسْلِمُ اَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ » اي لا يدخل عليه ضَرَرًا في نفسه او دينه او عِرْضِهِ او ماله « وَلاَ يَخْذُلُهُ » اي لا يَتْرُكُ نُصْرَتَهُ في الحقّ لانّ مِنْ حُقُوقِ الإسْلاَمِ التَّنَاصُرُ حيث قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٢] وقال النَّبِيُّ ﷺ: « انْصُرْ اَخَاكَ ظَالِمًا اَوْ مَظْلُومًا » ونُصْرَةُ الاَوَّلِ بِمَنْعِهِ عَنْ ظُلْمِهِ والثّاني بِاَنْ يَدْفَعَ عنه مَنْ يُظْلِمُهُ « وَلاَ يُكَذِّبُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ » اي لا يَسْتَصْغِرُ شَأْنَهُ ويَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ قال النَّبِيُّ ﷺ : « التَّقْوَى هَهُنَا » ويُشِيرُ الى صَدْرِهِ الشَّرِيفِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ قال النَّبِيُّ ﷺ : « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ اَنْ يَحْقِرَ اَخَاهُ الْمُسْلِمَ » وفيه تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ مِنْ اِحْتِقَارِهِ حيث قال تعالى : ﴿ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ [الحجرات : ١١] اي لا تَحْتَقِرْ غَيْرَكَ عَسَى اَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ اللّه خَيْرًا مِنْكَ او رُبَّمَا صار عَزِيزًا وصِرْتَ ذَلِيلاً فَيَنْتَقِمُ مِنْكَ « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » رواه مسلم وقال النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ اَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا اِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كَتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ اِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ اَبْطَاَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » رواه مسلم

ذِكْرُ اللَّهِ

اعلم انّ الذِّكْرَ نَوْعَانِ : ١- قَلْبِيٌّ ١- ولِسَانِيٌّ ولِكُلٍّ منهما شَوَاهِدُ من الكتاب والسّنّة فَالذِّكْرُ اللِّسَانِيُّ باللّفظ المركّب من الاصوات والحروف لا يَتَيَسَّرُ في جميع الاوقات فانّ البيع والشّراء ونَحْوَهُمَا يُلْهِيَانِ الذَّاكِرَ عنه الْبَتَّةْ بخلاف الذِّكْرِ القَلْبِيّ فانّه يَكُونُ بِمُلاَحَظَةٍ مُسَمَّى ذلك اللَّفْظِ المُجَرَّدِ عن الحروف والاصوات واِذًا فلا شَيْءَ يُلْهِي الذَّاكِرَ عنه :

بِقَلْبٍ فَاذْكُرُ اللَّهَ خَفِيَا ۞ عَنِ الْخَلْقِ بِلاَ حَرْفٍ وَقَالِ
وَهَذَا الذِّكْرُ اَفْضَلُ كُلِّ ذِكْرٍ ۞ بِهذَا قَدْ جَرَى قَوْلُ الرِّجَالِ

ولانّ القلب مَحَلُّ نَظْرِ اللَّهِ الغَفَّارِ ومَوْضِعُ الإيمَانِ ومَعْدَنُ الاَسْرَارِ ومَنْبَعُ الاَنْوَارِ وبِصَلاَحِهِ يَصْلَحُ الجَسَدُ كُلُّهُ وبِفَسَادِهِ يَفْسُدُ الجَسَدُ كُلُّهُ كما بَيَّنَهُ لنا النَّبِيُّ المُخْتَارُ مُحَمَّدٌ نِ الْمُصْطَفَى ﷺ ولا يَكُونُ العَبْدُ مُؤْمِنًا الاّ بعقد القلب على ما يَجِبُ الإيمَانُ به ولا تَصِحُّ عِبَادَةٌ مَقْصُودَةٌ الاّ بِنِيَّةٍ فيه وقد اَجْمَعَ الاَئِمَّةُ على انّ افعال الجوارح لا تُقْبَلُ الاّ بِعَمَلِ القَلْبِ وانّ عَمَلَ القَلْبِ يُقْبَلُ بِدُونِهَا ولو لَمْ تُقْبَلْ اَعْمَالُ القَلْبِ لَمَّا قُبِلَ الإيمَانُ لانّ الايمان هُوَ التَّصْدِيقُ بالقلب حيث قال

اللّه تعالى : ﴿ أُولٰئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] وقال : ﴿ أُولٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوٰى ﴾ [الحجرات : ٣] وقال : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ [الاعراف : ٢٠٥] اي في قبلك وعن امّ المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها قَالَتْ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَفْضُلُ الذِّكْرُ » اي الخَفِيُّ « عَلَى الذِّكْرِ » اي الجَهْرِي « بِسَبْعِينَ ضِعْفًا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجَّعَ اللَّهُ الْخَلاَئِقَ إِلَى حِسَابِهِ وَجَاءَتِ الْحَفَظَةُ بِمَا حَفِظُوا وَكَتَبُوا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : " انْظُرُوا هَلْ بَقِيَ لَعَبْدِي مِنْ شَيْءٍ ؟ " فَيَقُولُونَ : مَا تَرَكْنَا شَيْئًا عَلِمْنَاهُ وَحَفِظْنَاهُ إِلاَّ وَقَدْ اَحْصَيْنَاهُ وَكَتَبْنَاهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : " إِنَّ لَكَ عِنْدِي حُسْنًا وَاَنَا اَجْزَيْتُكَ بِهِ وَهُوَ الذِّكْرُ الْخَفِيُّ " » رواه البيهقي ووَرَدَ في " الصّحاح " عَنِ النَّبِيِّ ﷺ انّه قال : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : " اَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَاَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسَهُ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ » رواه البخاري وغَيْرُهُ ورَوَى أَبُو عَوَانَةَ وَابْنُ حِبَّانٍ في " صحيحيهما " والبيهقي : « خَيْرُ الذِّكْرِ : الْخَفِيُّ وَخَيْرُ الرِّزْقِ : مَا يَكْفِي » وفي وراية : « الذِّكْرُ الَّذِي لاَ تَسْمَعُهُ الْحَفَظَةُ يَزِيدُ عَلَى الذِّكْرِ الَّذِي تَسْمَعُهُ الْحَفَظَةُ سَبْعِينَ ضِعْفًا » رواه البيهقي قال مُخَرِّجُهُ : وهو حَسَنٌ لِغَيْرِهِ والاَحَادِيثُ في ذلك كَثِيرَةٌ وقال بَعْضُ العَارِفِينَ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : الذِّكْرُ بالقلب سَيْفُ المُرِيدِينَ به يُقَاتِلُونَ اَعْدَاءَهُمْ وبه يَدْفَعُونَ الآفَاتِ الّتي تَقْصُدُهُمْ وانّ البلاء إِذَا اَدْخَلَ على العبد وفَزِعَ بِقَلْبِهِ الى اللّه تعالى يَمْنَعُ عنه في الحال كُلَّ ما يُكْرِهُ وقالوا : مَنْ اَرَادَ اللَّهُ به خَيْرًا فَتَحَ له قُفْلَ قَلْبِهِ وجَعَلَ فيه اليَقِينَ اهـ. وقال اَبُو حَامِدٍ اَحْمَدُ بْنُ خِضْرَوَيْهِ البَلْخِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : القُلُوبُ اَوْعِيَةٌ فاذا امْتَلأَتْ من الحقّ ظَهَرَتْ زِيَادَةُ اَنْوَارِهَا على الجوارح واذا امْتَلأَتْ من الباطل ظَهَرَتْ زِيَادَةُ ظُلْمَتِهَا على الجوارح اهـ. وقال ذُو النُّونِ المِصْرِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : صَلاَحُ القَلْبِ سَاعَةً اَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ فاذا كان المَلَكُ لا يَدْخُلُ بَيْتًا فيه صُورَةٌ او تِمْثَالٌ فكيف تَدْخُلُ شَوَاهِدُ الحَقّ قَلْبًا فيه اَوْصَافُ غَيْرِهِ سبحانه وتعالى ؟ وقال العَارِفُ الكَبِيرُ اَبُو الحَسَنِ الشَّاذَلِيُّ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : الذَّرَّةُ مِنْ اَعْمَالِ القُلُوبِ تَعْدِلُ اَمْثَالَ الجِبَالِ مِنْ اَعْمَالِ الجَوَارِحِ اهـ.

مَنِ الَّذِي يَصِحُّ اَنْ يُتَّخَذَ شَيْخًا فِي الطَّرِيقَةِ

اعلم - وَفَّقَنِي اللَّهُ وايّاك لِمَرْضَاتِهِ - انّه يَجِبُ على مُرِيدِ الطَّرِيقِ اَنْ يَقْصُدَ عند ارادة انابته وتوبته واستيقاظه مِنْ نَوْمِ غَفْلَتِهِ شَيْخًا مِنْ اَهْلِ زَمَانِهِ يَكُونُ مُتَرَقِيًا في مقامات الرّجال الكمَّل شَرْعًا حَقِيقِيًّا سُلُوكُهُ على الكتاب والسّنّة وَالاْقِتِدَاءُ بالعلماء ثُمَّ سَيْرُه الى اللّه وسُلُوكُهُ على يَدِ مُرْشِدٍ وَاصِلٍ الى تلك المقامات العَلِيَّةِ مُسَلْسَلاً الى النَّبِيِّ ﷺ مَاْذُونًا له مِنْ شَيْخِهِ بالارشاد

والدّلالة على اللّه تعالى لا عن جَهْلٍ ولا عن حَظِّ نَفْسٍ فَالشَّيْخُ العَارِفُ الوَاصِلُ وَسِيلَةُ المُرِيدِ الى اللّه وبَابُهُ الّذي يَدْخُلُ منه على اللّه " فَمَنْ لا شَيْخَ له يُرْشِدُهُ فَمُرْشِدُهُ الشَّيْطَانُ " ومِنْ هذا تَعْلَمُ انّه لا يَجُوزُ التَّصَدُّرُ لاخذ العهد على المريدين وارشادهم الاّ بَعْدَ التَّرْبِيَّةِ وَالإذْنِ كما قالت الأَئِمَّةُ رحمهم اللّه تعالى إذْ لا يَخْفَى اَنَّ مَنْ تَصَدَّرَ لذلك وهو غَيْرُ اَهْلٍ له فما يُفْسِدُهُ اَكْثَرُ مِمَّا يُصْلِحُهُ وعَلَيْهِ إثْمُ قَاطِعِ الطَّرِيقِ فهو بِمَعْزَلٍ عن رتبة المريدين الصّادقين فَضْلاً عن المشايخ العارفين (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُمُ الْعَزِيزَ) ويُشْتَرَطُ في المُرْشِدِ الكَامِلِ شُرُوطٌ :

الأَوَّلُ : اَنْ يَكُونَ عَالِمًا بما يحتاج اليه المُرِيدُونَ من الفقه والعقائد بِقَدْرِ ما يُزِيلُ الشُّبَهَ الّتي تَعْرُضُ للمريد الآخرة في البداية لِيَسْتَغْنِي به عن سُؤَالِ غَيْرِهِ

الثَّانِي : اَنْ يَكُونَ عَارِفًا بكمالات القلوب وآدابها وآفات النّفوس وامراضها وكَيْفِيَّةِ حِفْظِ صِحَّتِهَا وَاعْتِدَالِهَا

الثَّالِثُ : اَنْ يَكُون رَؤُوفًا رَحِيمًا بالمسلمين خُصُوصًا بالمريدين فاذا رَاَى اَنَّهُمْ لاَ يَقْدِرُونَ على مخالفة انفسهم ولا على ترم المالوفات مَثَلاً فَيُسَامِحُهُمْ بَعْدَ النُّصْحِ ولاَ يَقْطَعُهُمْ عَنِ الدَّرْسِ ولا يَتَسَبَّبُ في اثبات رقم الشّقاوة على جَبِينِهِمْ ولاَيَزَالُ يَرْفُقُ بهم الى اَنْ يَهْتَدُوا

الرَّبِعُ : اَنْ يَسْتُرَ ما اطَّلَعَ عليه مِنْ عُيُوبِ المُرِيدِينَ

الخَامِسُ : اَنْ يَتَنَزَّهَ عن مال المريدين ولا يَطْمَعَ في شيء مِمَّا في ايديهم

السَّادِسُ : اَنْ يَكُونَ مُؤْتَمِرًا بما يَاْمُرُ به مُنْتَهِيًا عَمَّا يَنْهَي عنه حتّى يُؤَثِّرَ كَلاَمَهُ في النّفوس

السَّابِعُ : اَنْ لاَ يُجَالِسَ مُرِيدَيهُ الاّ بِقَدْرِ الحَاجَةِ وَاَنْ يَذْكُرَ لهم طَرَفًا من الطّريقة والشّريعة كمطالعة " كتِبَانَا هَذَا " لِيَتَطَهَّرُوا مِنْ الواث الخطرات ولِيَعْبُدُوا اللَّهَ بِصَحِيحِ العِبَادَاتِ

الثَّامِنُ : اَنْ يَكُونَ كَلاَمُهُ صَافِيًا مِنْ شَوَائِبِ الهَوَى والهَزَلِ وما لا يَعْنِي

التَّاسِعُ : اَنْ يُسَامِحَ في حقّ نفسه فَلاَ يَكُونُ مُتَوَقِّعًا تَعْظِيمَهُ وتَوْقِيرَهُ ولاَ يُكَلِّفَهُمْ في حقّه ما لا يُطِيقُونَ ولا يُرَتِّبُ عليهم من الاعمال ما يَسْاَمُونَ ولا يُكْثِرُ معهم الإنْبِسَاطَ وَالإنْقِبَاضَ ولا يَضِيقُ عليهم كُلَّ التَّضْيِيقِ

العَاشِرُ : اذا رَاَى مِنْ اَحَدِ المُرِيدِينَ اَنْ كَثْرَةَ المُجَالَسَةِ والمُصَاحَبَةِ معه تُزِيلُ مِنْ قَلْبِهِ عَظَمَتَهُ وهَيْبَتَهُ اَمَرَهُ اَنْ يَجْلِسَ بِخَلْوَةٍ لاَ يَكُونُ بَعِيدًا جِدًّا ولا قَرِيبًا بل يَكُونُ بَيْنَ بَيْنَ

الحَادِي عَشَرَ : اذا عَلِمَ انّ حُرْمَتَهُ سَقَطَتْ مِنْ قَلْبِ مُرِيدِ الآخِرَةِ فَيَنْبَغِي له اَنْ يُصَرِّفَهُ بِرِفْقٍ فانّه مِنْ اَكْبَرِ الاَعْدَاءِ

الثَّانِي عَشَرَ : اَنْ لا يَغْفَلَ عن ارشاد المريدين الى ما فيه صَلاَحُ حَالِهِمْ

الثَّالِثُ عَشَرَ : اذا وَصَفَ المُرِيدُ رُؤْيًا رَآهَا او مُكَاشَفَةً كَاشَفَهَا او مُشَاهَدَةً شَاهَدَ فيها اَمْرًا مَّا فَلاَ يَتَكَلَّمُ له على ذلك ولَكِنَّهُ يُعْطِيهِ من الاعمال ما يَدْفَعُ به ما في ذلك ويَرْقِيهِ الى ما هو اَعْلَى

وَاَشْرَفُ ومتى تَكَلَّمَ الشَّيْخُ على ما ياتي به المُرِيدُ وبَيَّنَ له عَظَمَةَ ذلك الاَمْرِ فقد اَسَاءَ في حقّه لانّ المُرِيدَ يَرَى نَفْسَهُ عَالِيًا فَرُبَّمَا تَسْقُطُ مَرْتَبَتُهُ

الرَّابِعُ عَشَرَ : يَجِبُ عليه اَنْ يَمْنَعَ المُرِيدَ عَنِ التَّكَلُّمِ مع غير اخوانهم الاّ لِضَرُورَةٍ وعَنِ التَّكَلُّمِ ايضًا مع اخوانهم بما يَطْرَأُ عليهم من الكرامات والواردات ومتى سَمَاحَهُمُ الشَّيْخُ في ذلك فقد اَسَاءَ في حقّهم لِمَا يَتَرَتَّبُ عليه من الكبر والتَّعَاظُمِ الى غير ذلك مِمَّا يُؤَخِّرُهُمْ

الخَامِسُ عَشَرَ : اَنْ يَجْعَلُ له خَلْوَةً يَنْفَرِدُ بها وَحْدَهُ ولا يُمَكِّنُ اَحَدًا مِنْ مُرِيدِيهِ اَنْ يَدْخُلَهَا الاّ مَنْ كان خَصِيصًا عنده وخَلْوَةً لاجتماعه باصحابه

السَّادِسُ عَشَرَ : اَنْ لاَ يُمَكِّنَ مُرِيدًا اَنْ يَطَّلِعَ على حركة من حركاته اَصْلاً ولا يَعْرِفُ له سِرًّا ولا يَقِفُ له على نوم ولا طعام ولا شراب ولا غير ذلك فانّ المُرِيدَ اذا وَقَفَ على شيء مِنْ ذَلِكَ رُبَّمَا نَقَصَتْ حُرْمَةُ الشَّيْخِ لِضَعْفِهِ عن معرفة احوال الرّجال الكمَّل وله هِجْرُ المُرِيدِ اذا رَآهُ يَتَجَسَّسُ لِلِاطِّلاَعِ على ذلك مَصْلَحَةً للمريد

السَّابِعُ عَشَرَ : اَنْ لاَ يُسَامِحَ المُرِيدَ اَبَدًا في كثرة الاكل فانّ تلك المُسَامَحَةَ تَتَلَفُ كُلَّ شَيْءٍ يَفْعَلُهُ الشَّيْخُ للمريد لانّ اَكْثَرَ النَّاسِ عَبِيدٌ لِبُطُونِهِمْ

الثَّامِنُ عَشَرَ : اَنْ يَمْنَعَ اَصْحَابَهُ اَنْ يُجَالِسُوا اَصْحَابَ شَيْخٍ آخَرَ فانّ المَضَرَّةَ بذلك سَرِيعَةٌ بالمريدين فَاِنْ رَآهُمْ ثَابِتِينَ في محبّته ولَمْ يَخَفْ عليهم التَّزَلْزُلُ فلا باس

التَّاسِعُ عَشَرَ : اَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ التَّرَدُّدِ الى الامراء والحُكَّامِ لِئَلاَّ يَقْتَدِي به في ذلك بَعْضُ مُرِيدِيهِ فَيَكُونُ عليه اِثْمُهُ واِثْمُهُمْ مِنْ بَابِ : « مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا ... » الحَدِيثَ رواه مسلم والتّرمذي وذلك لانّ غَالِبَ مَنْ يَتَقَرَّبُ اليهم يَتَعَسَّرُ عليه الإنْكَارُ عليهم فيما يراهم يَفْعَلُونَهُ مِنَ المُحَرَّمَاتِ وكانّه تَعَاطِي بِتَرَدُّدِهِ عليهم تقريرهم على المنكر

العِشْرُونَ : اَنْ يَكُونَ خِطَابُهُ لهم بِغَايَةِ التَّلَطُّفِ وَلْيَحْذَرْ مِنْ سَبِّهِمْ وشَتْمِهِمْ وَالطَّعْنِ فيهم لِئَلاَّ يَنْفُرُ نُفُوسُهُمْ منه

الحَادِي العِشْرُونَ : اذا دعاه اَحَدٌ من المريدين واَجَابَهُ فَيَكُونُ بِالتَّعَزُّزِ والعِفَّةِ

الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ : اذا جَلَسَ عند المريدين فَلْيَجْلِسْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ولا يُكْثِرُ الإلْتِفَاتِ اليهم ولا يَنَامُ بِحَضْرَتِهِمْ ولا يَمُدُّ رِجْلَهُ في مجلسهم واَنْ يَغُضَّ طَرَفَهُ ويَخْفَضَ صَوْتَهُ ولا يَسِيءَ عليهم خُلْقَهُ فانّهم في الحقيقة يَعْتَقِدُونَ فيه جَمِيعَ الصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ ويَقْتَبِسُونَهَا منه

الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ : اذا دَخَلَ عليه اَحَدُ المُرِيدِينَ فَلاَ يَعْبَسْ في وجهه واذا اراد الإنْصِرَافَ دَعَا له مِنْ غَيْرِ سُؤَالِهِ واذا دخل هو على اَحَدِ مُرِيدِيهِ فَيَكُونُ عَلَى اَكْمَلِ حَالَةٍ واَحْسَنِ هَيْئَةٍ

الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : اذا غَابَ اَحَدُ المُرِيدِينَ يَتَفَقَّدُهُ بالسّؤال عنه والبَحْثِ عن سبب انقطاعه ثُمَّ اِنْ كان مَرِيضًا عَادَهُ او في حَاجَةٍ اَعَانَهُ او له عُذْرٌ دَعَا له وبالجملة فالكَلِمَةُ الجَامِعَةُ لآدَابِ الشَّيْخِ اَنْ يَكُونَ على سِيرَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ في اصحابه ما استطاع ... ولِلَّهِ دُرُّ القَائِلِ :

« مَنْ لاَ شَيْخَ لَهُ يُرْشِدُهُ فَمُرْشِدُهُ الشَّيْطَانُ »

آدَابُ المُرِيدِ مَعَ شَيْخِهِ فِي الطَّرِيقَةِ

وهي كَثِيرَةٌ جِدًّا وَاقْتَصْرَنَا على بَعْضِ المُهِمَّاتِ وَاَعْظَمُهَا : اَنْ يُوَقِّرَ المُرِيدُ شَيْخَهُ ويُعَظِّمَهُ ظَاهِرًا وبَاطِنًا مُعْتَقِدًا انّه لا يَحْصُلُ مَقْصُودُهُ الاّ على يده واذا تَشَتَّتْ نَظْرُهُ الى شَيْخٍ آخَرَ حَرَمَهُ مِنْ شَيْخِهِ وَانْسَدَّ عليه الفَيْضُ

منها : اَنْ يَكُونُ مُسْتَسْلِمًا مُنْقَادًا رَاضِيًا بِتَصَرُّفَاتِ الشَّيْخِ يَخْدُمُهُ بالمال والبدن لانّ جَوْهَرَ الإِرَادَةِ والمَحَبَّةِ لا يَتَبَيَّنُ الاّ بهذا الطّريق ووَزْنَ الصِّدْقِ وَالإِخْلاَصِ لا يُعْلَمُ الاّ بهذا الميزان

منها : اَنْ لا يَعْتَرِضُ عليه فيما فَعَلَهُ ولو كان ظَاهِرُهُ حَرَامًا ولا يَقُولُ لِمَ فَعَلْتَ كذا ؟ لانّ مَنْ قال لِشَيْخِهِ لِمَ ؟ لا يُفْلِحُ اَبَدًا فقد تَصَدَّرَ من الشّيخ صُورَةٌ مَذْمُومَةٌ في الظّاهر وهي مَحْمُودَةٌ في الباطن كما وَقَعَ للخضر مع موسى عليهما السّلام

منها : اَنْ لا يَكُونَ مُرَادُهُ باجتماعه على شيخه شَيْئًا غَيْرَ التَّقَرُّبِ الى اللّه عزّ وجلّ

منها : اَنْ يَسْلِبَ اخْتِيَارَ نَفْسِهِ باختيار شيخه في جميع الامور كُلِّيَّةً كانت او جُزْئِيَّةً عِبَادَةً كانت او عَادَةً ومِنْ عَلاَمَةِ المُرِيدِ الصَّادِقِ انّه لو قال له شَيْخُهُ : " اُدْخُلُ التَّنُّورَ " دَخَلَ

منها : اَنْ لاَ يَتَجَسَّسَ على احوال الشّيخ مُطْلَقًا فَرُبَّمَا كان في ذلك هَلاَكُهُ كما وَقَعَ لِكَثِيرٍ واَنْ يُحْسِنَ به الظَّنَّ في كُلِّ حَالٍ

منها : اَنْ يَحْفَظَ شَيْخَهُ في غيبته كحفظه في حضوره واَنْ يُلاَحِظَهُ بقلبه في جميع اموره سَفَرًا وحَضَرًا لِيَحُوزَ بَرَكَتَهُ

منها : اَنْ يَرَى كُلَّ بَرَكَةٍ حَصَلَتْ له مِنْ بَرَكَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِبَرَكَتِهِ

منها : اَنْ لاَ يَتَكَلَّمَ على شيخه شَيْئًا من الاحوال والخواطر والواقعات والكشوفات والكرامات مِمَّا وَهَبَهُ اللَّهُ تعالى على يده

منها : عَدَمُ التَّطَلُّعِ الى تعبير الوقائع والمنامات والمكاشفات وإِنْ ظَهَرَ فَلاَ يَعْتَمِدُ عليه وبَعْدَ عَرْضِ الحَالِ على الشّيخ يَكُونُ مُنْتَظِرًا لجوابه مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ وإِنْ سَاَلَ اَحَدُ الشَّيْخِ عن مسألة فَإِيَّاكَ والمُبَادَرَةَ بالجواب في حضرته

منها : اَنْ لاَ يَفْشِيَ لِشَيْخِهِ سِرًّا ولو نُشِرَ بِالْمِنَاشِيرِ

منها : اَنْ لاَ يَتَزَوَّجَ قَطُّ امْرَاَةً رَاَى شَيْخَهُ مَائِلاً الى التَّزَوُّجِ بها ولاَ يَتَزَوَّجَ قَطُّ امْرَاَةً طَلَّقَهَا شَيْخُهُ او مات عنها

منها : اَنْ لاَ يُشِيرَ قَطُّ على شيخه بِرَاْيٍ اذا اسْتَشَارَهُ في فِعْلِ شَيْءٍ او تَرْكِهِ بل يَرُدُّ الاَمْرَ الى شيخه اعْتِقَادًا منه انّه اَعْلَمُ منه بالامور وغَنِيٌّ عَنِ اسْتِشَارَتِهِ وإِنَّمَا اسْتَشَارَهُ تَحَبُّبًا له ما لَمْ تَقُمْ القَرَائِنُ الوَاضِحَةُ على خلاف ذلك والاّ فَلْيَنْصَحْ له مَعَ رِعَايَةِ كَمَالِ الاَدَبِ معه

منها : اَنْ يَتَفَقَّدَ عِيَالَ شَيْخِهِ اذا غاب بالاحسان اليهم بالخدمة وغيرها فانّ ذلك مِمَّا يُمَيِّلُ قَلْبَ شَيْخِهِ اليه ومِثْلُ الشَّيْخِ في ذلك الإِخْوَانُ

منها : اَنَّهُ اذا وَجَدَ المُرِيدُ في نفسه عَجَبًا باعماله وَاسْتِحْسَانًا لِحَالِهِ فَلْيَذْكُرْهُ لِشَيْخِهِ لِيُدِلَّهُ على دوائه فَإِنْ كَتَمَه يَنْبُتُ الرِّيَاءُ وَالنِّفَاقُ في قلبه

منها : اَنْ يُعَظِّمَ ما اَعْطَاهُ له شَيْخُهُ ولاَ يَبِيعَهُ لاَحَدٍ ولو اَعْطَاهُ ما اَعْطَاهُ فَرُبَّمَا يَكُونُ طوى له فيه سِرًّا مِنْ اَسْرَارِ الفُقَرَاءِ فيما يُعِينُهُ في الدّارين ويُقَرِّبُهُ الى حضرة اللّه عزّ وجلّ

منها : وهو اَهَمُّ اَحْوَالِهِ كُلِّهَا اَنْ يَجْعَل رَاْسَ مَالِهِ الصِّدْقَ في الجدّ في طلب الشّيخ فانّ الشّيوخ كُلَّهُمْ اَجْمَعُوا على انّ المريد لو صَحَّ له كَمَالُ الإِنْقِيَادِ مع شيخه رُبَّمَا وَصَلَ الى ذَوْقِهِ حَلاَوَةُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ في مَجْلِسٍ وَاحِدٍ مِنْ اَوَّلِ اجْتِمَاعِهِ به

منها : اَنْ لاَ يَنْقُصَ اعْتِقَادَهُ في شيخه اذا رَآهُ نَقَصَ عَنْ مَقَامِهِ بِكَثْرَةِ نَوْمِهِ في الاسحار مَثَلاً او قِلَّةُ وَرَعِهِ او غَيْرِ ذَلِكَ فقد يُوقِعُ اللَّهُ مِنَ الوَلِيِّ ذلك التَّقْصِيرَ في حال غفلة او سهو ثُمَّ يُوجِدُ له اليَقَظَةَ مِنْ تِلْكَ الغَفْلَةِ فَيَتَنَبَّهُ لِمَا وَقَعَ منه زَمَنَ غَفْلَتِهِ فَيَتَدَارَكُ ذلك بما يَنْبَغِي تَدَارَكُهُ بما يَسُدُّ ذلك الخَلَلَ كُلَّ ذلك من اللّه تعالى اِرْشَادٌ لِمُرِيدِيهِ لِيَصِيرُوا بِاطْلاَعِهِمْ على ما فَرَطَ مِنْ اُسْتَاذِهِمْ وعلى ما تَدَارَكُهُ به عَارِفِينَ كيف يُخَلِّصُونَ مَنْ وَرْطَاتِ زَلاَّتِهِمْ اذا وَقَعَ لهم ما وَقَعَ لاُسْتَاذِهِمْ وقد يَطَّلِعُ اللَّهُ الوَلِيَّ بما يُوقِعُهُ فيه من النّقص على كثرة صدقه في مقام الرّضا بقضاء اللّه وقَدَرِهِ او قِلَّتِهِ فَيُعَرِّفُ اللَّهُ تعالى اَوْلِيَاءَهُ بِتَغَيُّرِ الاَحْوَالِ صِدْقَهُمْ معه او كِذْبَهُمْ لِيَشْكُرُوهُ تعالى او يَسْتَغْفِرُوهُ اذا انْتَبَهُوا فَمِنَ الْوَاجِبِ اَنْ يَدُومَ المُرِيدُ على اعتقاده في شيخه فقد قالوا : " زَلاَّتُ المُقَرَّبِينَ رِفْعَةٌ لِمَقَامَاتِهِمْ " وَاسْتَدَلُّوا على ذلك بالاكل من الشّجرة ثُمَّ كان بعده الاجتباء والاصطفاء

منها : اَنْ لاَ يُكْثِرَ الكَلاَمَ في حضرته ولو باسطه بالكلام وَاَنْ يَعْرِفَ اَوْقَاتِ الكَلاَمِ معه فلا يُكَلِّمُهُ الاّ في البسط بالادب والخشوع والخضوع مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ على الضّرورة بِقَدْرِ مَرْتَبَتِهِ ودَرَجَتِهِ وحَالُهُ مُصِيغًا بِتَوَجُّهٍ تَامٍّ الى جواب الشّيخ والاّ حَرُمَ مِنَ الْفُتُوحِ وما حَرُمَ منه لا يَعُودُ اليه مَرَّةً اُخْرَى الاّ نَادِرًا

منها : غَضُّ الصَّوْتِ في مجلس الشّيخ لانّ رَفْعَ الصَّوْتِ عند الاكابر سُوءُ اَدَبٍ

منها : اَنْ لاَ يَجْلِسَ مُتَربِّعًا ولا على سَجَّادَةٍ اَمَامَ الشَّيْخِ بل يَنْبَغِي له في مجلسه التَّوَاضُعُ وَالتَّصَاغُرُ وَالإِشْتِغَالُ بالخدمة قال بَعْضُهُمْ : " الخِدْمَةُ عند القوم من افضل العمل الصّالح "
منها : اَنْ يُبَادِرَ بِإِتْيَانِ ما اَمَرُه به بِلاَ تَوَقُّفٍ ولاَ اِهْمَالٍ مِنِ اسْتِرَاحَةٍ ولاَ سُكُونٍ قبل تمام ذلك الامر
منها : الفِرَارُ مِنْ مَكَارِهِ الشَّيْخِ وكَرَاهَةُ ما يُكْرِهُ طَبْعًا وعَدَمُ ارْتِكَابِهَا اغْتِرَارًا بِحُسْنِ خُلْقِهِ
منها : اَنْ لاَ يُجَالِسَ مَنْ كان يُكْرِهُ شَيْخَهُ ويُحِبُّ مَنْ يُحِبَّهُ
منها : اَنْ يَصْبِرَ على جفوته واعراضه عنه ولا يَقُولُ : " لِمَ فَعَلَ لِفُلاَنٍ كذا ولِمَ يَفْعَلْ لِي كذا ؟ "
منها : اَنْ يَصْبِرَ على المُعَدِّ له ولا يَلُحَّ عليه في امر ولاَ يُسَافِرَ ولاَ يَتَزَوَّجَ ولا يَفْعَلَ فِعْلاً من الأمور المهمّة الاّ باذنه واعلم انّ الشّيخ العارف رُبَّمَا بَاسَطَ تَلاَمِذَتَهُ فاذا شَمَّ منهم رَائِحَةَ الصِّدْقِ وَالإِجْتِهَادِ شَدَّدَ عليهم واَعْرَضَ عنهم واَظْهَرَ لهم الجفوة لِتَمُوتَ اَنْفُسُهُمْ عَنِ الشَّهَوَاتِ وتَفْنَى في حبّ اللّه ورُبَّمَا اخْتَبَرَهُمْ هل يَصْدُقُونَ معه او لا
منها : اَنْ لاَ يَنْقُلَ مِنْ كَلاَمِ الشَّيْخِ عند النّاس الاّ بِقَدْرِ اَفْهَامِهِمْ وعُقُولِهِمْ

آدَابُ المُرِيدِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ

واَعْظَمُها : اَنْ يُلاَحِظَ انّ اللّه تعالى نَاظِرٌ اليه ومُطَّلِعٌ عليه في جميع الاحوال فَيَشْتَغِلُ بِذِكْرِهِ قَلْبًا دَائِمًا مَاشِيًا كان او قَاعِدًا او مُشْتَغِلاً بِصَنْعَةٍ لانّها لا تَمْنَعُهُ عَنِ الذِّكْرِ بِمَعْنَى اَنْ يَجْرِيَ لَفْظَ الجَلاَلَةِ « الله » على قلبه
منها : اَنْ يَتْرُكَ اَصْحَابَ السُّوءِ ويُجَالِسَ الاَخْيَارَ قيل : اَوْحَى اللَّهُ تعالى الى موسى عليه السّلام : " لاَ تُجَالِسْ اَهْلَ الهَوَى فَيَحْدُثُوا في قلبك مَا لَمْ يَكُنْ " اهـ. فَصُحْبَةُ الاَخْيَارِ تُورِثُ الخَيْرَ وصُحْبَةُ الاَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ ومَجَالِسُ الصَّالِحِينَ هي الإِكْسِيرُ للقلوب بِيَقِينٍ لَكِنْ لاَ يُشْتَرَطُ ظُهُورُ الاَثَرِ حَالاً وسَيَظْهَرُ بِصُحْبَتِهِمْ ولو بَعْدَ حِينٍ حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَصَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا اَنْ يُحْذِيكَ » اي يُعْطِيكَ « تو تَبْتَاعُ مِنْهُ » اي تَشْتَرِي « اَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً » رواه البخاري
منها : انّه اذا كان ذَا زَوْجَةٍ واَوْلاَدٍ واَرَادَ الذِّكْرَ اَنْ يُغْلِقَ بَابًا بينه وبينهم فانّه لا شَيْءَ اَضَرَّ على المريدين مِنْ صُحْبَةِ الضِّدِّ وهو الّذي لا يَهْدِي ما تَهْوَاهُ اَنْتَ وكُلَّمَا كان مكان الذّكر ضَيِّقًا مُظْلِمًا كان اَجْمَعَ للخاطر من الواسع الّذي فيه نُورُ الشَّمْسِ او السِّرَاجِ ومَثَلُ الاَوْلاَدِ وَالزَّوْجَةِ

المُنْكِرُونَ على طريق القوم فَرُبَّمَا اسْتَهْزَؤُوا به اذا كَشَفَ رَأْسَهُ وتَخْبَطَ وصَاحَ فَيَكُونَ ذلك سَبَبًا لِمَقْتِهِمْ ورُبَّمَا ضَعُفَ قَلْبُهُ عن الذّكر

منها : اَنْ يَكُونَ تَارِكًا للفضول مُقْتَصِرًا على قدر الكفاية من الماكل والمشرب والملبس والمنكح كما قال الإمَامُ الغَزَالِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : جَعَلَ اللَّهُ فُضُولَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ في الدّنيا سَبَبًا لقسوة القلب وابطاء الجوارح عن الطّاعة والصّمم عن سماع الموعظة اهـ.

منها : اَنْ يَتْرُكَ حُبَّ الدُّنْيَا نَاظِرًا الى الآخرة لانّ مَحَبَّةَ اللَّهِ لا تَدْخُلُ قَلْبًا فيه حُبُّ الدُّنْيَا حيث قال عليه الصّلاة والسّلام : « حَسْبُ ابْنِ آدَمَ مِنَ الشَّرِّ اِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اَنْ يُشَارَ اِلَيْهِ بِالاَصَابِعِ فِي دِينِهِ اَوْ دُنْيَاهُ » رواه الطّبراني والبيهقي في " شعب الايمان " قيل للحسن البصري رضي اللّه عنه حِينَ رَوَى هَذَا الحَدِيثَ : « اِنّ النَّاسَ اِذَا رَاَوْكَ اَشَارُوا اِلَيْكَ » فقال : انّه لَمْ يَعْنِ لهذا وانّما اَرَادَ المُبْتَدِعَ في دينه والفَاسِقَ في دُنْيَاهُ اهـ. وقد وَرَدَ هذا التَّفْسِيرُ مَرْفُوعًا ايضًا

منها : اَنْ لاَ يَنَامَ على جَنَابَةٍ واَنْ يَكُونَ مُدِيمَ الطَّهَارَةِ

منها : اَنْ لاَ يَطْمَعَ فيما في ايدي النّاس واَنْ يَسُدَّ على نفسه بَابَ مُرَاعَاةِ الخَلْقِ فَلاَ يَلْتَفِتُ لاحد من المخلوقين اَقْبَلَ عليه ام اَدْبَرَ

منها : انّه اذا تَعَسَّرَ رِزْقُه وقَسَتْ عليه قُلُوبُ العِبَادِ فَلْيَصْبِرْ ولاَ يَضْجَرْ فَكَثِيرًا مَّا تَتَحَوَّلُ الدُّنْيَا عن المريد عِنْدَ دُخُولِ التَّصَوُّفِ فَرُبَّمَا قال : " ما كان لِي حَاجَةٌ بِالتَّصَوُّفِ " فَيَنْقُضُ عَهْدَهُ فَلاَ يُفْلِحُ اَبَدًا فاذا وَقَعَ له العَسْرُ فيها فَلْيَعْلَمْ انّ اللّه تعالى يُرِيدَ اَنْ يُوَالِيَهُ ويَفْتَحَ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ

منها : اَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ وبَحَثَهَا على السّير فِي التَّصَوُّفِ كُلَّمَا وَقَفَتْ مع حظوظها ويَقُولُ لها : " اصْبِرِي فانّ الرّاحة اَمَامَكَ غَدًا وانّما اُرِيدُ بِتَعْبِكَ رَاحْتَكَ في الآخرة "

منها : اَنْ يُقَلِّلَ النَّوْمَ ولا سِيَّمَا وَقْتَ الاَسْحَارِ فانّه وَقْتُ الإجَابَةِ

منها : اَنْ يَتَحَرَّى اَكْلَ الحَلاَلِ

منها : اَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ على قلّة الاكل بمعنى انّه يَرْفَعُ يَدَهُ عن الاكل قَبْلَ الشَّبْعِ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ فانّه يُورِثُ النَّشَاطَ للطّاعة ويُذْهِبُ الكَسْلَ

منها : اَنْ يَصُونَ لِسَانَهُ عَنْ لَغْوِ الحَدِيثِ وقَلْبَهُ عن جميع الخواطر فانّ مَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ وَاسْتَقَامَ قَلْبَهُ انْكَشَفَتْ له الاَسْرَارُ

منها : اَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ عن المحرّمات ما اَمْكَنَ فانّ النَّظْرَ اليها كَالسُّمّ القَاتِلِ وَالسَّهْمِ الصَّائِبِ في قلبه فَيَقْتُلُهُ ولاسِيَّمَا اذا نَظَرَ بِشَهْوَةٍ قال الجُنَيْدُ البَغْدَادِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : مِنْ اَكْبَرِ القَوَاطِعِ على المريد مُصَاحَبَةُ الاَحْدَاثِ وَالنِّسَاءِ وَالْمُعَاشَرَةُ لهم اهـ. ويَنْبَغِي للمريد اَنْ لاَ يُجَالِسَ الاَمْرَدَ الجَمِيلَ لاسِيَّمَا في الخلوة

منها : تَرْكُ المِزَاحَ فانّه يُمِيتُ القَلْبَ ويَعْقَبُهُ ظُلْمَةً ولو عَرَفَ السَّالِكُ ما نَقَصَ مِنْ حاله بسبب المزاح لَمَّا فَعَلَهُ مَرَّةً أُخْرَى ويَعْرِفُهُ مَنْ كان باطنه مُنَوَّرًا اَمَّا اَصْحَابُ الظُّلْمَةِ فانّهم لا يَحْسَبُونَ بآفاته حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « لاَ تُمَارِ اَخَاكَ وَلاَ تُمَازِحْهُ » رواه التّرمذي فَالاَوْلَى تَرْكُ المِزَاحِ الاّ في بعض الاوقات وذلك عِنْدَ اِزْدِيَادِ حَالَةِ القَبْضِ وضِيقَ الصَّدْرُ

منها : اَنْ يَتْرُكَ المُنَاظَرَةَ والمُبَاحَثَةَ بِالْجَدَلِ مع طلبة العلم لانّ المناظرة تُورِثُ النِّسْيَانَ والكدورات واذا وَقَعَ منه ذلك فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ويَطْلُبُ العُذْرَ مِمَّنْ نَاظَرَهُ اِنْ كان هو مُحِقًّا

منها : اَنْ يُجَالِسَ اِخْوَانَهُ عند ضيق الصّدر ويَتَبَاحَثَ معهم في آدَابِ التَّصَوّفِ حتّى يَنْشَرِحَ صَدْرُهُ ويَنْفَرِجَ ما به

منها : تَرْكُ الضَّحِكِ بالقهقهة لانّها المُمِيتَةُ للقلب ولذا لَمْ يَضْحَكِ النَّبِيُّ ﷺ قَهْقَهَةً لَكِنَّهُ كان يَبْتَسِمُ

منها : اَنْ يَتْرُكَ البَحْثَ عن احوال النّاس والمجادلة معهم

منها : تَرْكُ حُبِّ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ لانّها قَاطِعَةٌ عن الطّريق الحقّ حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ ضَارِبَانِ بَاتَا فِي زِرِيبَةِ غَنَمٍ بِاَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الشَّرَفِ وَالْمَالِ لِدِينِهِ » رواه احمد والتّرمذي

منها : اَنْ يَكُونَ مُتَوَاضِعًا لانّ التَّوَاضُعَ يَزِيدُ العَبْدَ رِفْعَةً

منها : اَنْ يَكُونَ خَائِفًا من اللّه عزّ وجلّ رَاجِيًا عَفْوَهُ لا يَرَى لعبادته قَدْرًا بل يَسْتَحِقُّ العِقَابَ لولا فَضْلُ اللَّهِ عليه

منها : اَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ على التّعليق بالمشيئة عند كُلِّ قَوْلٍ وفِعْلٍ بِاَنْ يَقُولَ : " اَفْعَلُ كَذَا او لا اَفْعَلُ كذا اِنْ شَاءَ اللَّهُ تعال "

منها : اَنْ يَكْتُمَ ما يَرَاهُ من الاسرار مَنَامًا او يَقَظَةً بِاَنْ لاَ يَقُولَ لاَحَدٍ الاّ لِشَيْخِهِ فانّ ذلك طَرْدٌ عن حضرة الحقّ وسَدٌّ لِبَابِ المُرِيدِ كما اَنَّ مَنْ ادَّعَى مَقَامًا لَمْ يَصِلْ اليه حَرُمَ الوُصُولُ اليه عُقُوبَةً واِنْ كان ولاَبُدَّ مِنْ ذِكْرِ السِّرِّ لِيُسْتَفَادَ منه عِلْمٌ او اَدَبٌ فَلْيَقُلْ : سَمِعْتُ بَعْضَ الفُقَرَاءِ يَقُولُ كذا بِطَرِيقٍ بَعِيدَةٍ بحيث لا يَفْهَمُ الحَاضِرُونَ انّه يُورِي بِقَوْلِهِ عن نفسه

منها : اَنْ يَجْعَلَ له وَقْتًا خَاصًّا يَنْفَرِدُ فيه بِذِكْرِ رَبِّهِ بالاسم الّذي تَلَقَّنَهُ مِنْ شَيْخِهِ بلا زيادة ولا نقص

منها : اَنْ لاَ يَسْتَبْطِئَ الفَتْحَ عليه بل يَعْبُدُ اللَّهَ لوجهه سواء فُتِحَ عَيْنُ قَلْبِهُ ورُفِعَ عنه الحِجَابُ ام لا

آدَابُ المُرِيدِ مَعَ اِخْوَانِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ المُسْلِمِينَ

واعلموا اَيُّهَا الاِخْوَانُ : - وَفَّقَنِي اللَّهُ وايّاكم لِمَا يُحِبُّهُ ويَرْضَاهُ - انّ عَقْدَ الأُخُوَّةِ رَابِطَةٌ بين شخصين حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « مَثَلُ الاَخَوَيْنِ مِثْلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ احْدَاهُمَا الأُخْرَى » اخرجه ابو نعيم في " الحلية " وفي روايةٍ قال : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » رواه الشّيخان وغَيْرُهُمَا وقال اَهْلُ العِلْمَ : ما مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صِاحِبًا ولو سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ الاّ ويُسْاَلُ عن صُحْبَتِهِ هل اقام فيها حَقَّ اللَّهِ تعالى او اَضَاعَهُ ؟ فاذا انْعَقَدَتِ الصُّحْبَةُ فذلك يُوجِبُ حُقُوقًا :

منها : اَنْ تُحِبَّ لهم ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ولا تُخَصِّصُ نَفْسَكَ بِشَيْءٍ دونهم

منها : اَنْ تَبْدَاَهَمُ بالسّلام والمصافحة وحلاوة اللّسان كُلَّمَا لَقِيتَهُمْ حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « اِذَا تَصَافَحَ الْمُسْلِمَانِ لَمْ تَفْرُقْ اَكُفُّهُمَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُمَا » رواه الطّبراني

منها : مُعَاشَرَتُهُمْ بِحُسْنِ الخُلْقِ وهو اَنْ تُعَامِلَهُمْ بِمَا تُحِبَّ اَنْ يُعَامَلُوكَ به من المحبّة والشّفقة وغَيْرِ ذلك وهذا جِمَاعُ الخَيْرِ ومَلاَكُ الاَمْرِ ويَكْفِي في ذلك مَدْحُ اللَّهِ تعالى نَبِيَّهُ عليه الصّلاة والسّلام بقوله تعالى : ﴿ وَاِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ اِيمَانًا اَحْسَبَهُمْ اَخْلاَقًا » رواه التّرمذي وابن حبّان وقال بَعْضُهُمْ : ما ارْتَفَعَ مَنْ ارْتَفَعَ بِكَثْرَةِ صَلاَةٍ ولا صَوْمٍ ولا مُجَاهَدَةٍ وانّما ارْتَفَعَ بِالْخُلُقِ الحَسَنِ وقال الجُنَيْدُ الْبَغْدَادِي (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : اَرْبَعٌ تَرْفَعُ العَبْدَ الى اعلى الدّرجات وإنْ قَلَّ عَمَلُهُ وعِلْمُهُ : ١- الحِلْمُ ٢- وَالتَّوَاضُعُ ٣- وَالسَّخَاءُ ٤- وحُسْنُ الخُلْقِ اهـ.

منها : اَنْ تَتَوَاضَعَ لاخوانك لِقَوْلِهِ تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ صَغِيرٌ وَفِي اَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ فَهُوَ فِي اَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ وَفِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ وَحَتَّى لَهُوَ اَهْوَنُ عَلَيْكُمْ مِنْ كَلْبٍ اَوْ خِنْزِيرٍ » رواه احمد والبزّار والطّبراني وقال الامام الشّافعي رضي اللّه عنه : التَّوَاضُعُ مِنْ اَخْلاَقِ الكِرَامِ وَالتَّكَبُّرُ مِنْ اَخْلاَقِ اللِّئَامِ وارْفَعُ النَّاسِ قَدْرًا مَنْ لاَ يَرَى قَدْرَهُ واَكْبَرُهُمْ فَضْلاً مَنْ لاَ يَرَى فَضْلَهُ وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اِنَّ اللَّهَ اَوْحَى اِلَيَّ اَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْجَرَ اَحَدٌ عَلَى اَحَدٍ وَلاَ يَبْغِي اَحَدٌ عَلَى اَحَدٍ » رواه مسلم وابو داود وغيرهما قيل : لَمَّا جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ تعالى : " بِاَنَّ كُلَّ نَبَاتٍ لا يَثْمُرُ الاّ بجعله تحت الارض " تَعْلُوهُ النِّعَالُ جَعَلَتِ الاَخْيَارُ نُفُوسَهُمْ اَرْضًا لِجَمِيعِ الإِخْوَانِ

منها : اَنْ تَطْلُبَ الرِّضَا منهم واَنْ تَرَاهُمْ خَيْرًا منك واَنْ تَتَعَاوَنَ منهم على البرّ والتّقوى وحُبُّ اللَّهِ تعالى فيما يَرْضَى اللَّهُ وتَرْشُدُهُمْ الى الصّواب اِنْ كُنْتَ كَبِيرًا وتَتَعَلَّمُ منهم اِنْ كُنْتَ صَغِيرًا حيث قال اللّه تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] ومِنْ حَدِيثِهِ ﷺ : « اِذَا اَرَادَ اللَّهُ بِالاَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ اِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَاِنْ ذَكَرَ اَعَانَهُ وَاِذَا اَرَادَ بِهِ غِيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ اِنْ نَسِيَ لَمْ يَذْكُرْهُ وَاِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ » رواه ابو داود بِاِسْنَادٍ جَيِّدٍ

منها : اَنْ تَرْحَمَ جَمِيعَ اِخْوَانِكَ بِاَنْ تُوَقِّرَ الكَبِيرَ وتَشْفَقَ على الصّغير لقوله عليه الصّلاة والسّلام : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرِنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرِنَا » رواه التّرمذي وتَخْدُمُهُمْ ولو بِتَقْدِيمِ النِّعَالِ لهم حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اِرْحَمُوا مَنْ فِي الاَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » رواه ابو داود والتّرمذي وغَيْرُهُمَا وفي الحديث القدسي : « اِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ رَحْمَتِي فَارْحَمُوا خَلْقِي » وقال عليه الصّلاة والسّلام : « مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ لاَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ » رواه البخاري ومسلم

منها : التَّلَطُّفُ في النّصيحة لآخِيكَ اذا رَاَيْتَ منه مُخَالَفَةً قال الامام الشّافعي رضي اللّه تعالى عنه : مَنْ وَعَظَ اَخَاهُ سِرًّا فقد نَصَحَهُ وزَانَهُ ومَنْ وَعَظَهُ عَلاَنِيَةً فقد فَضَحَهُ وشَانَهُ اهز وقال الشّعراني (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) : مَنْ لَمْ يَسْتُرْ على اخوانه ما يَرَاهُ منهم من الهفوات فقد فَتَحَ على نفسه بَابَ كَشْفِ عَوْرَتِهِ بِقَدْرِ ما اَظْهَرَ مِنْ هَفْوَاتِهِمْ حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ اَخِيهِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهَ وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ اَخِيهِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ » رواه ابن ماجه وقد صَحَبَ رَجُلٌ اِبْرَاهِيمَ بْنَ اَدْهَمَ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) فَلَمَّا اَرَادَ اَنْ يُفَارِقَهُ قال : يَا سَيِّدِي لو نَبَّهْتَنِي على ما فِيَّ مِنَ الْعُيُوبِ فقال : يَا اَخِي لَمْ اَرَ فيك عَيْبًا لانّي لاَحَظْتُكَ بِعَيْنِ الوَدَادِ فَسَلْ غَيْرِي عن عيبك وَلْتَكُنْ حَرِيصًا على نجاة اخيك ممّا تراه ولا تهجره فانّ ذلك اَنْفَعُ لك من الهجر اهـ.

منها : اَنْ تُحْسِنَ الظَّنَّ بهم واذا رَاَيْتَ في اَحَدٍ عَيْبًا فقل في نفسك : اِنَّمَا ذلك العَيْبُ فِيَّ لانّ المسلم مِرْآةُ المُسْلِمِ ولا يَرَى الإنْسَانُ في المرآة الاّ صُورَةَ نَفْسِهِ

منها : اَنْ تَقْبَلَ عُذْرَ اَخِيكَ اذا اعْتَذَرَ اليك ولو كان كَاذِبًا لانّ مَنْ اَرْضَاكَ ظَاهِرًا واِنْ اَغْضَبَكَ بَاطِنًا فقد اطاعك وعَظَّمَكَ مِنْ حَيْثُ انّه لَمْ يَتَجَاهَرْ لِمَعْصِيَتِكَ وثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ انّه قال : « وَمَنْ اَتَاهُ اُخُوهُ مُتَنَصِّلاً مِنْ ذَنْبِهِ فَلْيَقْبَلْ مِنْهُ مُحِقًّا كَانَ اَوْ مُبْطِلاً فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَى الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه الحاكم وصَحَّحَهُ وغَيْرُه

منها : اَنْ تُصْلِحَ بَيْنَ اِخْوَانِكَ اذا حَصَلَ بينهم نِزَاعٌ في شيء ولا تُعِينُ اَحَدًا منهم على الآخر بل تُصَالِحُهُمْ بِلِينٍ ورِفْقٍ بحيث لاَ تَدَعْ لِبَعْضِهِمْ حَقًّا على بعض حيث قال تعالى : ﴿ اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اِخْوَةٌ فَاَصْلِحُوا بَيْنَ اَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ٤٩] وقال النَّبِيُّ ﷺ : « اَفْضَلُ الصَّدَقَةِ اِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيِّنِ » رواه الطّبارني والبيهقي ورَوَى مَرْفُوعًا : « اتَّقُوا اللَّهَ وَاَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَاِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وفي روايةٍ : « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيُنَمِّي خَيْرًا اَوْ يَقُولُ خَيْرًا » رواه البخاري ومسلم

منها : اَنْ تَكُونَ صَادِقًا معهم في جميع الاحوال واَنْ لاَ تَنْسَاهُمْ من الدّعاء بالمغفرة بظاهر الغيب

منها : اَنْ تَفْسَحَ لهم في المجالس لما في الحديث الشّريف : « اِنَّ لِلْمُسْلِمِ حَقًّا اِذَا رَآهُ اَخُوهُ اَنْ يَتَزَحْزَحَ لَهُ » رواه البيهقي

منها : السُّؤَالُ عَنْ اسْمِ الصَّاحِبِ وَاسْمِ اَبِيهِ لِمَا رَوَى البَيْهَقِي في " شعب الايمان " : « اِذَا آخَيْتَ رَجُلاً فَاسْاَلْهُ عَنْ اِسْمِهِ وَاسْمِ اَبِيهِ فَاِنْ كَانَ غَائِبًا حَفِظْتَهُ وَاِنْ كَانَ مَرِيضًا عُدْتَهُ وَاِنْ مَاتَ شَهِدْتَهُ » وفي ورايةٍ : « اِذَا حَبَّ اَحُدُكُمْ اَخَاهُ فِي اللَّهِ فَلْيُعْلِمْهُ فَاِنَّهُ اَبْقَى لِلاُلْفَةِ وَاَثْبَتُ فِي الْمَوَدَّةِ » رواه ابي الدّنيا والامام احمد والبخاري في " الادب " وغَيْرُهُمْ

منها : اَنْ تَذُبَّ عن اعراضهم وتَنْصُرَهُمْ بظاهر الغيب حيث تنتهك حرماتهم حيث قال عليه الصّلاة والسّلام : « مَا مِنْ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عَنْ عِرْضِ اَخِيهِ الْمُسْلِمِ اِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ اَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه احمد وابو داود

منها : اِنْجَازُ الوَعْدِ اذا وَعَدْتَ فإنّ العِدَّةَ اِحْدَى العَطِيَّتَيْنِ وهي عند اهل اللّه دَيْنٌ وخَلْفُ الوَعْدِ من النّفاق وقد اعْتَرَى الاِخْوَانَ في هذا الزّمان خَلَلٌ كَثِيرٌ فصاروا يَبْغُضُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ولا يُحِبُّونَ الخَيْرَ لِبَعْضٍ ويَتَحَاسَدُونَ ويَخْفَوْنَ الكَرَاهَةَ ويُظْهِرُونَ المَوَدَّةَ حتّى اذا قَابَلَ اَحَدُهُمْ آخَرَ يَظْهَرُ له الفَرَحُ والبَشَاشَةُ ويَبْتَسِمُ في وجهه وعندما يُفَارِقُ يَتَكَلَّمُ في حقّه بما لا يرضى اللّه ورسوله فهؤلاء لا يُحِبُّهُمُ اللَّهُ ولا يَنْظُرُ اليهم بِعَيْنِ رَحْمَتِهِ ولا يُزَكِّيهِمْ ولهم عَذَابٌ اَلِيمٌ بما كانوا يعلمون ما لَمْ يَتُوبُوا فَنْسَاَلُ اللَّهَ الاَمَانَ مِنْ فِتَنِ هَذَا الزَّمَانِ

خَاتِمَةٌ نَسْاَلُ اللَّهَ تَعَالَى حُسْنَهَا

عن عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ اِذَا نَزَلَ عليه الوَحْيُ يُسْمَعُ عنده وجهه دَوِيٌّ كَدَوِّيِ النَّحْلِ فَاَنْزَلَ اللَّهُ عليه يَوْمًا فَمَكَثَ سَاعَةً حتّى سُرِّيَ عنه فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ ورَفَعَ يَدَيْهِ فقال : « اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلاَ تُنْقِصْنَا وَاَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا وَاَعْطِنَا وَلاَ تَحْرِمْنَا وَآثِرْنَا وَلاَ

تُؤْثِرْ عَلَيْنَا اللَّهُمَّ اَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا » ثُمَّ قال : « لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ اَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » ثُمَّ قَرَاَ : ﴿ قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] حتّى خَتَمَ العَشْرَ آيَاتٍ رواه التّرمذي قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي اللّه عنه في هذه الآية الكريمة : قد سَعِدَ المُصَدِّقُونَ بالتّوحيد وبَقَوْا في الجنّة اهـ. وقيل : الفَلاَحُ هُوَ الظَّفَرُ بالمطلوب وَالنَّجَاةُ من المرهوب اي فَازُوا بما طَلَبُوا ونَجَوْا مِمَّا هَرَبُوا ﴿ اَلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢] اي خَائِفُونَ بالقلب سَاكِنُونَ بالجوارح ورَوَى الحَاكِمُ انّه ﷺ كان يُصَلِّي رَافِعًا بَصَرَهُ الى السّماء فَلَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ الكَرِيمَةُ رَمَى بَصَرَه الى نَحْوِ مَسْجِدِهِ اي مَوْضِعِ سُجُودِهِ وعن امّ المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها قالت : سَاَلْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن الالتفات في الصّلاة ؟ فقال : « هُوَ اخْتِلاَسُ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ الْعَبْدِ » رواه البخاري وغَيْرُهُ والاِخْتِلاَسُ : هو الاِخْتِطَافُ وعن اَبِي ذَرٍّ الغِفَارِي رضي اللّه عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « لاَ يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلاً عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا الْتَفَتْ اَعْرَضَ عَنْهُ » اخرجه ابو داود والنّسائي وعن ابن عبّاس وابن مسعود وعمران بن حصين رضي اللّه عنهما قالوا : « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاَتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ اِلاَّ بُعْدًا » رواه الطبارني وعن بعض السّلف رحمهم اللّه : مَنْ عَرَفَ مَنْ على يمينه وشماله وهو في الصّلاة فَلاَ صَلاَةَ له اهـ. ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣] اي تَارِكُونَ كُلَّ ما لاَ يَعُودُ منه على الشخص فَائِدَةٌ في الدّين والدّنيا قَوْلاً كان او فِعْلاً او مَكْرُوهًا او مُبَاحًا كالهزل واللّعب وضياع الاوقات فِيمَا لا يَعْنِي وَالتَّوَغُّلِ في الشّهوات وغَيْرِ ذلك مِمَّا نَهَى اللَّهُ عنه وبالجملة فَيَنْبَغِي لِلاِنْسَانِ اَنْ يَرَى سَاعِيًا في جنّة عالية لمعاده أو درهم حلال لِمَعَاشِهِ حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « مِنْ حُسْنِ اِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ » رواه التّرمذي وغَيْرُهُ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَعِلُونَ ﴾ [المؤمنون : ٤] اي مُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ الوَاجِبَةَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بذلك بَعْدَ وَصْفِهِمْ بالخشوع في الصّلاة لِيَدُلَّ على اَنَّهُمْ بَلَغُوا الغَايَةَ في القيام على الطّاعة البدنيّة والماليّة ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ ﴾ اي في الجماع ومُقَدِّمَاتِهِ ﴿ حَفِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥] اي حَافِظُوهَا في كَافَّةِ الاَحْوَالِ ﴿ اِلاَّ عَلَى اَزْوَجِهِمْ ﴾ اللاّتي اسْتَحَقُّوا ابضاعهنّ بِعَقْدِ النِّكَاحِ ﴿ اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ ﴾ اي الاِمَاءَ والجَوَارِي والآيَةُ الكَرِيمَةُ في الرّجال خَاصَّةً لانّ المَرْاَةَ لا يَجُوزُ لها اَنْ تَتَمَتَّعَ بِفَرْجِ مَمْلُوكِهَا ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦] اي اِنْ بَذَلُوهَا لازواجهم او اِمَائِهِمْ فَاِنَّهُمْ لاَ يُلاَمُونَ على ذلك ولا يُلاَمُونَ فيما اذا كان على وَجْهٍ اَذِنَ فيه الشَّرْعُ دُونَ الاِتْيَانِ في غير الماتي وفي حال الحيض والنّفاس فانّه مَحْظُورٌ لا يَجُوزُ ومَنْ فَعَلَهُ فانّه مَلُومٌ ﴿ فَمَنِ ابْتَغٰى

وَرَاءَ ذٰلِكَ ﴾ اي طَلَبَ شَهْوَتَهُ مِنْ غَيْرِ الأَزْوَاجِ والجَوَارِي المَمْلُوكَةِ بِزِنَى او لِوَاطٍ اَوِ اسْتِمْنَاءٍ بيده او اِتْيَانِ بَهِيمَةٍ او غَيْرِ ذَلِكَ ﴿ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧] اي الظَّالِمُونَ المُتَجَاوِزُونَ الحَدَّ من الحلال الى الحرام ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِاَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨] اي حَافِظُونَ يَحْفَظُونَ ما اؤْتُمِنُوا عليه والعُقُودِ الّتي عَاقَدُوا النَّاسَ عليها يَقُومُونَ بالوفاء بها والاَمَانَاتِ تَخْتَلِفُ فمنها : ما يَكُونُ بين العبد وبين اللّه تعالى كالصّلاة والصّوم وسائر العبادات الّتي اَوْجَبَهَا اللَّهُ تعالى على العباد ومنها : ما يَكُونُ بين العباد كالودائع والصّنائع ومنها : ما يكون في المعاني الباطنة كالاخلاص والصّدق فَيَجِبُ الوَفَاءُ بِجَمِيعِهَا ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩] اي يُدَاوِمُونَ ويَرَاعُونَ اَوْقَاتَهَا وَاتْمَامَ اَرْكَانِهَا ورُكُوعَهَا وسُجُودَهَا وسَائِرَ شُرُوطِهَا واِعَادَةُ ذِكْرِ الصَّلاَةِ لانّها اَهَمُّ ولانّ الخُشُوعَ فيها غَيْرُ المُحَافَظَةِ عليها فَلاَ تَكْرَارَ ﴿ أُولٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠] اي الجَامِعُونَ لهذه الصّفات المُسْتَحِقُّونَ فَيَرِثُونَ مَنَازِلَ اَهْلِ النَّارِ في الجنّة حيث قال النَّبِيُّ ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ اَحَدٍ اِلاَّ لَهُ مَنْزِلاَنِ : مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ فَاِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرَثَ اَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ » رواه ابن ماجه فذلك قَوْلُهُ تعالى : ﴿ أُولٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) اَلَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ (١١) ﴾ [المؤمنون : ١٠-١١] وهو اعلى الجنّة وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي اللّه عنه انّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَةٍ وَدَرَجَةٍ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالاَرْضِ وَالْفِرْدَوْسُ اَعْلاَهَا دَرَجَةً وَمِنْهَا تُفْجَرُ اَنْهَارُ الْجَنَّةِ الاَرْبَعَةُ وَمِنْ فَوْقِهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ فَاِذَا سَاَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْاَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » اخرجه البخاري في " صحيحه " والتّرمذي واللَّفْظُ له ﴿ اَلَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١] اي لا يَخْرُجُونَ منها ولا يَمُوتُونَ وعن ابي ذرّ الغفّاري رضي اللّه عنه قال : قُلْتُ يا رسولَ اللَّهِ ما كانت صُحُفُ ابْرَاهِيمَ عليه السّلام قال : « كَانَتْ اَمْثَالاً كُلُّهَا » قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ فما كانت صُحُفُ مُوسَى عليه السّلام ؟ قال : « كَانَتْ عِبَرًا كُلُّهَا » قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ اَوْصِنِي قال : « اُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَاِنَّهَا رَاْسُ الاَمْرِ كُلِّهِ » قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ زِدْنِي قال النَّبِيُّ ﷺ : « عَلَيْكَ بِتِلاَوَةِ الْقُرْآنِ فَاِنَّهَا نُورٌ لَكَ فِي الاَرْضِ وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ » قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ زِدْنِي قال : « اِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ فَاِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيُذْهِبُ بِنُورِ الْوَجْهِ » قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ زِدْنِي قال : « عَلَيْكَ بَالصَّمْتِ اِلاَّ مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى اَمْرِ دِينِكَ » قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ زِدْنِي قال : « عَلَيْكَ بِالْجَهَادِ فَاِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ اُمَّتِي » قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ زِدْنِي قال : « اُحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَجَالِسْهُمْ » قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ زِدْنِي قال : « انْظُرْ اِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ وَلاَ تَنْظُرْ اِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَاِنَّهُ اَجْدَرُ

اَنْ تَذْدَرِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ » قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ زِدْنِي قال : « قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا » قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ زِدْنِي قال : « لِيَرُدَّكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ نَفْسِكَ » وعن ابي هريرة رضي اللّه عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فيما يَرْوِيهِ عن ربّه عَزَّ وَجَلَّ انّه قال : « اِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : " مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ » اي اَعْلَمْتُهُ بانّي مُحَارِبٌ له ومَنْ حَارَبَهَ اللَّهُ لا يُفْلِحُ اَبَدًا وهذا من التّهديد في الغاية القُصْوَى اِذْ غَايَةُ تلك المحاربة عَظِيمُ الهَلَاكِ « وَمَا تَقَرَّبَ اِلَيَّ عَبْدِي بَشَيْءٍ اَحَبَّ اِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ اِلَيَّ بَالنَّوَافِلِ حَتَّى اُحِبَّهُ فَاِذَا اَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَاَلَنِي لاَعْطَيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لاَعِيذَنَّهُ » رواه البخاري وعن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فيما يَرْوِيهِ عن ربّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال : « اِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بَحَسَنةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَاِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ اِلَى سَبْعَمِائَةِ ضَعْفٍ اِلَى اَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَاِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَ اللَّهُ عَنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَاِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ » رواه البخاري ومسلم واعلم انّ الخَوَاطِرَ الّتي تَرِدُ على قلب اَرْبَعَةٌ : ١- رَبَّانِيٌّ ٢- ومَلَكِيٌّ ٣- شَيْطَانِيٌّ ٤- نَفْسِيٌّ فَعَلاَمَةُ الخَاطِرِ الرَّبَّانِي : انّه لا يَنْدِفَعُ بالدّفع لانّ له على القلب صَوْلَةُ الاَسَدِ لِوُرُودِهِ مِنْ حَضْرَةِ القَهَّارِ فَعَلاَمَةُ الخَاطِرِ المَلَكِي : اَنْ تْعقَبَهُ لَذَّةٌ مع بَرُودَةٍ ولا يَجِدُ صَاحِبُهُ اَلَمًا ولا تَغَيُّرًا في صدره واِنَّمَا هو كالنّاصح وعَلاَمَةُ الخَاطِرِ النَّفْسِي : اَنْ يْعَقَبَهُ في القلب اَلَمٌ وفي الصّدر ضَيّقٌ وفي الطّلب اِلْحَاحٌ فانّ النّفس كالطّفل تَلُحُ في مطالبها ولا تَسْتَبْدِلُ به غَيْرَهُ وعَلاَمَةُ الخَاطِرِ الشَّيْطَانِي : اَنْ يَعْقَبَهُ اَلَمٌ واذا حوّلته لاَمْرٍ آخَرَ تَحَوَّلَ فانّ الشّيطان يُرِيدُ اِغْوَاءَكَ بِاَيِّ وَجْهٍ كان ومَرَاتِبُ القَصْدِ خَمْسَةُ اَقْسَامٍ : اَوَّلُهَا : الهَاجِسُ وهو الّذي ياتي قَهْرًا ويَذْهَبُ سِرِيعًا ثَانِيهَا : الخَاطِرُ وهو الّذي ياتي قَهْرًا ويُقِيمُ قَلِيلاً وهذان لا مُؤَاخَذَةَ بهما في شيء من المعاصي ولا في الكفر كما لا ثَوَابَ بهما في شيء من الطّاعات لعدم دخولهما تحت الاختيار ثَالِثُهَا : حَدِيثُ النَّفْسِ وهو التَّرَدُّدُ في الفعل وعدمه وهذا يُؤَاخَذُ به في الكفر فَمَنْ تَرَدَّدَ هل يثبت على الإيمان أو يَرْتَدُّ كُفْرًا حَالاً - والعِيَاذُ باللّه تعالى - لانّ الايمان شَرْطُهُ الجَزْمُ ابْتِدَاءً ودَوَامًا ولا يُؤَاخَذُ به في شيءٍ من المعاصي كما لا ثَوَابَ به في شيء من الطّاعات رَابِعُهَا : الهَمُّ وهو المَيْلُ الى الفعل فهذا يُؤَاخَذُ به في الكفر كالّذي قبله بالاولى ولا يُؤَاخَذُ به في شيء من المعاصي تَفَضُّلاً من اللّه سبحانه وتعالى واذا كان في شيء من الطّاعات كان فيه اَثْوَابُ خَامِسُهَا : العَزْمُ وَالتَّصْمِيمُ وعَقْدُ النِّيَّةِ على الشّيء فَاِنْ كان في الشّرّ فَفِيهِ العِقَابُ واِنْ كان في الخير فَفِيهِ الثَّوَابُ واللَّهُ اَعْلَمُ بالصّواب ويَنْبَغِي على العاقل : ما لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا على عقله اَنْ تَكُونَ

له سَاعَاتٌ : سَاعَةٌ : يُنَاجِي فيها رَبَّهُ وسَاعَةٌ : يُحَاسِبُ فيها نَفْسَهُ وسَاعَةٌ : يَتَفَكَّرُ فيها في صنع اللّه وسَاعَةٌ : يَخْلُو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وَاَنْ لاَ يَكُونَ ظِاعَنًا الاّ لِثَلاَثٍ : تَزَوُّدٌ لِمِعَادِهِ او مرمة لِمَعَاشٍ او لَذَّةٌ في غَيْرِ مُحَرَّمٍ وَاَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزِمَانِهِ مُقْبِلاً على شانه حَافِظًا للّسانه ... الى هنا تَمَّ الاِخْتِصَارُ مِنْ كِتَابِ " تَنْوِيرُ الْقُلُوبِ فِي مُعَامَلَةِ عَلاَّمِ الْغُيُوبِ " لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٌ اَمِينْ الكُرْدِي الاَرْبِلِي بعون اللّه الملك الوهّاب وكان الفَرَاغُ مِنْ اختصار هذا الكتاب النّفيس سَنَةَ تسعة وعشرين واربعمائة بعد الف [١٤٢٩] وثمانية والفين [٢٠٠٨] بالمدينة القديمة " غَازِي عَنْتَابْ " في التّركيّة والحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه يُوَافِي نِعَمَهُ ويُكَافِيءُ مَزِيدَهُ وَاللَّهُ المُوَافِّقُ والمُرْشِدُ حَسْبُنَا اللَّهِ ونِعْمَ الوَكِيلُ ونِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النَّصِيرُ واليه المَصِيرُ

وَاللَّهُ اَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

الاِمَامُ والخَطِيبُ
الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ آرْمُوتْجُو البُرُوكي
غازي عنتاب / التّركية

فِهْرِسُ الْكِتَابِ
- مَبَادِئُ التَّصَوُّفِ لِلْمُبْتَدِئِينَ بِعِلْمِ التَّصَوُّفِ -

الموضوع	الصفحة
تَرْجَمَةٌ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ اَمِينْ الْكُرْدِي قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ	٩-١٠
مُقَدِّمَةُ المُصَنِّفِ	١١
عِلْمُ التَّصَوُّفِ	١٢
فَصْلٌ فِي فَضْلِ الاَوْلِيَاءِ وَثُبُوتِ كَرَامَاتِهِمْ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ	١٤
التَّوْبَةُ	١٨
شُرُوطُ التَّوْبَةِ	٢٠
عَلاَمَةُ قَبُولِ التَّوْبَةِ تَظْهَرُ فِي ثَمَانِيَةِ اَشْيَاءٍ	٢١
التَّخْلِيَةُ وَالتَّحْلِيَةُ	٢٣
ذَمُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الاَمَلِ	٢٩
ذِكْرُ الْمَوْتِ	٣١
تَفْسِيرُ سُورَةِ : ﴿ اَلْهٰيكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾	٣٣
حَقِيقَةُ النَّفْسِ وَمَا فِيهَا مِنَ الأُمُورِ	٣٥
التَّوَكُّلُ وَالتَّفْوِيضُ وَالإِخْلاَصُ	٣٧
المَحَبَّةُ وَالشَّوْقُ وَالْوَجْدُ	٤٠
الخَلْوَةُ فِي الطَّرِيقَةِ	٤٤
اِتِّخَاذُ الأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ	٤٥
ذِكْرُ اللَّهِ	٤٨
مَنِ الَّذِي يَصِحُّ اَنْ يُتَّخَذَ شَيْخًا فِي الطَّرِيقَةِ	٤٩
آدَابُ الْمُرِيدِ مَعَ شَيْخِهِ فِي الطَّرِيقَةِ	٥٢

آدَابُ الْمُرِيدِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ ٥٤
آدَابُ الْمُرِيدِ مَعَ إِخْوَانِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٥٧
خَاتِمَةٌ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى حُسْنَهَا ٥٩
الفهرس ٦٤